الفصل الرابع

مساجد ومآذن صامدة

obeikan.com

obeikan.com

— مساجد ومآذن صامدة —

أثارت نتيجة الاستفتاء على حظر بناء المآذن في سويسرا ردود أفعال واسعة النطاق، واعتبرها الكثيرون « صدمة » وضربة موجعة للحرية التي تتمتع بها سويسرا ، وهي الدولة الأوروبية التي حرصت على حيادها السياسي والقانوني حتى أصبحت واجهة تقليدية لجذب الأموال خاصة من البلاد العربية الإسلامية.

وكان الاستفتاء الذي دعا إليه « حزب الشعب » (يمين متشدد) والاتحاد الديمقراطي الفيدرالي (حزب مسيحي صغير) في إطار ما يصفانه بـ « مكافحة الأسلمة الزاحفة » ، وأجرى يوم ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٩ ، وقد أظهر أن ٤ ,٥٧٪ ممن شملهم الاستفتاء يوافقون على حظر بناء المآذن في سويسرا بعد قيام هؤلاء المتطرفين بتنظيم حملة دعائية ضخمة نجحت في تحويل وجهة النقاش في ذهن المواطن السويسري من مجرد الحديث عن رمزية المآذن إلى الخطر الإسلامي من خلال استحضار الصورة النمطية التي انتشرت بعد أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية ، والاعتماد على لوحة إعلانية تصور امرأة منقبة بالسواد تقف بجانب العلم السويسري وبجوارها مآذن تنتصب كصواريخ على هذا العالم.

وقال رئيس اللجنة التي تقدمت بالاستفتاء « فالتر فوميان » لقد أردنا إظهار أن المآذن رمز للقوة في الإسلام ، وما سيأتي بعدها من مؤذن ثم الشريعة الإسلامية ، إذا أضفنا المرأة المنتقبة ولا نرى هنا أي استفزاز .

واعترف بأن الهدف من الاستفتاء ليس المئذنة في حد ذاتها ، بل هي رمز لقوة تبعاتها ، وهذه هي الخلفية الحقيقية فكان لزاماً توضيح الأمر للرأي العام ولماذا

نطالب بإضافة بند إلى الدستور يحظر بناء المآذن .

والأحزاب اليمينية في أوروبا انتهزت نتيجة الاستفتاء وأعلنت رغبتها في تنظيم استفتاءات مماثلة في دول أوربية أخرى، في خطوة تعبر عن حالة القلق والجدل إزاء الوجود الإسلامي هناك ، مما يطرح تساؤلاً مهماً : هل بدأ إسكات الصوت الإسلامي سويسرياً؟

ففي هولندا أعلن حزب الحرية اليميني بزعامة النائب الهولندي صاحب « فتنة المسيء للإسلام « جيرالد فيلدرز » إعجابه بنتيجة الاستفتاء .. قائلاً : للمرة لأولى أعرب المواطنون في أوروبا عن معارضتهم للأسلمة.

كما دعا « ماريو فيزيو » النائب في البرلمان الأوروبي من حزب رابطة الشمال الإيطالي إلى أجراء استفتاء مماثل في إيطاليا قائلاً : إن راية سويسرا الشجاعة التي تريد أن تبقي مسيحية ، حلقت فوق محاولات أسلمة أوروبا.

أما في فرنسا فقد أظهر استطلاع للرأي أجرته صحيفة « الفيجارو » اليمينية أن ٤٦ ٪ ضد بناء المآذن ، بينما ارتفع استطلاع آخر بالنسبة إلى ٥٥٪ ورغم أن الحكومة الفرنسية استبعدت أية نية لإجراء استفتاء حول بناء المآذن هناك ، إلا أن نتيجة هذين الاستطلاعين تبقى مؤشراً مهما يدق ناقوس الخطر.

وقد حرصت الحكومة السويسرية منذ بداية فكرة الاستفتاء على أن تنأى بنفسها عن إثارة مشاعر العداء تجاه المسلمين ورفضت التدخل لمنع الاستفتاء متذرعة بأن الأمر مطروح للحرية الديمقراطية .. واكتفت بدعوة المواطنين إلى عدم التصويت لصالحه. وفي أقوى إدانة للحكومة ، انتقدت وزيرة الخارجية السويسرية الحملة التي قادها اليمين المتشدد ، ووصفتها بـ « القذرة» وقالت : إن أصحابها استعملوا أساليب التخويف والكذب . وصوروا للشعب السويسري وكأنه سيواجه مئات

المآذن الإسلامية . كما أكدت الوزيرة عدم تعرض بلادها لأي تهديدات إرهابية بعد الاستفتاء ، مشيرة إلى أنها تسعى إلى تهدئة الوضع مع الدول الإسلامية وأن بلادها قد اتخذت كل الاحتياطات في هذا الاتجاه.

وقد أثبت المسلمون في سويسرا بدورهم ووعيهم وقدرتهم على التعاطي بمسئولية مع تلك الصدمة ، فقد كشف د.هشام أبو ميزو رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية . حقيقة ما يسعى إليه الاستفتاء قائلاً : نحن ندافع عن هويتنا الإسلامية التي تمثل المآذن جزءاً منها فمبادرة حظر المآذن في حقيقة الأمر تستهدف في مرحلة تالية حظر المساجد وتقليص الوجود الإسلامي في سويسرا.

وحسب قوله : فالذين تقدموا به لن يتوقفوا عند هذه الخطوة وإنما سيسعون بعد ذلك لطرق قضايا مهمة بالوجود الإسلامي في سويسرا .

كما أكد أن مسلمي سويسرا سيتعاطون مع نتيجة الاستفتاء من خلال القنوات القانونية والوسائل السلمية.

وقارن أبو ميزو ما يتمتع به اليمين المتطرف من كونه حزباً معترفاً به يحصل على كافة أشكال الدعم، وبين وضع المسلمين هناك متسائلاً : أين هي الجهة التي يمكن أن تدعما في تلك المرحلة لمواجهة هذه الحملة الشرسة.

مضيفاً .. إننا نقف أمام تلك التحديات بكل ما وهبنا الله من قوة ، ولكن إمكانياتنا ضعيفة للغاية . فالعين بصيرة واليد قصيرة .. ولكن أملنا أن يكون الإسلام هو المنتصر.

وإذا كان البعض يتخوف من أن وضع المسلمين في سويسرا يبدو أكثر حرجاً من غيرهم في أوروبا بسبب أن الإسلام ليس معترفاً به هناك فإن تلك المخاوف تتضاءل إذا علمنا أن الدستور السويسري يكفل بوجه عام حرية التدين ويفرض احترام

الرموز الدينية . وهذا الأمر كان ضمن الحيثيات التي استندت إليها وزيرة العدل السويسرية «إيفيلين فيدمر شلومت » في حثها المواطنين على عدم التصويت لصالح الاستفتاء، موضحة أن حظر المآذن ليس طريقة سياسية مناسبة لمواجهة مخاوف البعض إزاء المسلمين.

وأضافت : إن حظر بناء المآذن يتناقض بشكل أساسي مع القيم الأساسية لنظام المجتمع السويسري ويتعارض مع أسس قواعد الدستور الذي يضمن الحرية الدينية في البلاد.

كما أكدت أن إبراج الكنائس لها أهمية دينية رغم أنها لم تذكر في الإنجيل ومن ثم سيكون حظر المآذن وحدها تحامل على المسلمين.

وفي السياق ذاته أكد « توماس ويف » رئيس المجلس السويسري للأديان أن التعدد الديني والثقافي هو أحد أوجه الهوية السويسرية التي صاغت عبر تاريخ طويل قواعد وأسس التعايش السلمي والمضمونة بالقانون والدستور .. وشدد على أن الذين يدعون إلى حظر المآذن إنما يقومون بتوظيف الدين لأهداف سياسية من خلال خلق أجواء من عدم الثقة بين طبقات المجتمع

كان لافتاً للنظر أن أحد الانتقادات لنتيجة الاستفتاء ، كانت من حلفاء سويسرا الغربيين أنفسهم.

فقد استنكرت المفوضية السامية لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة « نافي بالي » النتيجة معبرة أنها تمييزية ، وتخاطر بوضع البلاد على مسار تصادمي مع التزاماتها الدولية بشأن حقوق الإنسان.

وأضافت : كنت أتردد عندما انتقد تصويتاً ديمقراطياً ، لكني لم أتردد هذه المرة على الإطلاق في إدانة المتاجرة بالتخويف من الأجانب التي ظهرت في الحملات

السياسية في عدد من الدول بينها سويسرا ، ويساعد في ظهور نتائج مثل هذه.

من جهته قال رئيس الوزراء التركي رجب أردوغان : هذه حقوق أصيلة لا يمكن طرحها في استفتاءات – فالحقوق والحريات الأساسية لا يمكن إحالتها للتصويت ، ولا يمكن طرح حرية العقيدة أو حقوق أو حريات أية طائفة للاستفتاء.

ومن ناحية أخرى أيد الفاتيكان موقف الأساقفة السويسريين الذين اعتبروا حظر بناء المآذن ضربة قاسية لحرية المعتقد.

وقال رئيس المجلس البابوي للمهاجرين المونسنيور « مارا سفيليو » : إننا نتبنى الموقف نفسه للأساقفة السويسريين .

وبعد قليل من إعلان نتائج الاستفتاء أعلن الأمين العام للمؤتمر الأسقفي السويسري المونسنيور « فليكس غمور » أن أساقفة سويسرا مستاءون من النتيجة ، وأكد أن المجمع الفاتيكاني الثاني يقول بوضوح : إن من المسموح به لكل الديانات بناء أماكن عبادة والمآذن هي أماكن عبادة . والتصويت لصالح حظرها ضربة قاسية للحمة المجتمع السويسري.

كما أعربت الرئاسة السويسرية للاتحاد الأوروبي عن استغرابها لطرح الأمر أصلاً في استفتاء .

وقالت وزيرة الهجرة السويسرية « نيامكو سابومى » في تصريحات صحفية لدى سويسرا نظام استفتاء شعبي رائع لكن يساء استخدامه أحياناً كما في هذه الحالة بعينها .

وباختصار نستطيع أن نتساؤل أحد كتاب « الجارديان » البريطانية يقول ما ردة

الفعل لو أن السويسريين صوتوا لصالح تغيير الطريقة التي تبنى عليها « كنس اليهود» هو تسائل يضع القضية برمتها على المحك ، ويشير إلى التفرقة الواضحة في التعامل بين المسلمين وغيرهم ، مبيناً أن استخدام وسائل الديمقراطية قد لا يخلو من المتاجرة والخداع خاصة إذا تعلق الأمر بالمسلمين.

أما عن ردود فعل الاتحاد الأوروبي لعلماء المسلمين فقد أعرب عن أسفه نتيجة الاستفتاء ، معتبراً أنها تكشف عن التناقض الصارخ بين تغني الشعب السويسري وتباهيه بالديمقراطية وحرية الأديان وبين المضمون العنصري« والإسلاموفوبيا » لهذا الاستفتاء ، محذراً من أن حملات اليمين لعنصري المتعصب قد لا تتوقف عند هذا الحد ، فاليوم المآذن وغداً المساجد نفسها.

* وكان الشيخ يوسف القرضاوي وقع على بيان أوضح فيه أن المآذن إنما هي دليل على مكان العبادة، وليس لها أية دلالة سياسية أو غيرها ، بل هي رمز عمراني جميل يدل على التسامح للبلد وتنوعه الديني والثقافي .

مؤكداً أن الحكومة السويسرية – رغم معارضتها للاستفتاء – تتحمل المسئولية كاملة عن النتائج التي يمكن أن ترتب عليه ، وفي مقدمتها تنامي ظاهرة العداء والكراهية للإسلام والمسلمين في سويسرا.

* شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي ، وعند مقابلته السفير السويسري في القاهرة قال للسفير : إن هذا الاستفتاء له آثاره السيئة في نفوس المسلمين ، داعياً الحكومة السويسرية إلى إيقاف الحظر ومحذراً من أنه ستؤدي إلى بلبلة وإساءة ظن من المسلمين بسويسرا.

* الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية اعتبر أن نتيجة الاستفتاء .. إهانة لمشاعر المسلمين داخل سويسرا وخارجها ، مؤكداً أن منع المآذن أظهر مشكلة

مفادها إننا نشتغل بالحوار منذ ٢٠ عاماً .. ثم يصدر قرار بمنع المآذن ليحطم كثيراً من قواعد الحوار . فنحن نبني ليعيش الجميع على الاحترام والحوار ، فتأتي الأحزاب اليمينية المتطرفة فتهدم بقرار واحد تلك القواعد.. داعياً في الوقت نفسه مسلمي سويسرا إلى استخدام الحوار والآليات القانونية والدستورية لمواجهة مبادرة حظر المآذن التي وصفها بـ الاستفزازية.

* د.أكمل إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أشار إلى خيبة أمله وقلقه إزاء حظر المآذن .. واصفاً نتيجة الاستفتاء بأنها تطور مؤسف من شأنه تشويه صورة سويسرا كدولة تحترم التنوع وحرية الأديان والمعتقد وحقوق الإنسان.

واعتبر الحظر نموذجاً يجسد مشاعر العداء المتنامي ضد الإسلام والمسلمين في أوروبا من قبل جماعات اليمين المتطرف العنصرية والمعادية للمهاجرين وللأجانب والتي تقف في وجهه المواقف الحكيمة والمنطقية والقيم العالمية.

* السيد شكيب مخلوف رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا في رصده للإضطهادات التي تعرض لها المسلمون في الغرب أعرب عن مخاوفه من أن يدخل مسلمو أوروبا مرحلة جديدة من الاضطادات تشبه ما حدث مع اليهود في الحقبة التاريخية مع اختلاف في الوسائل والآليات في إشارى إلى « الحرب العنصرية التي تقودها التيارات اليمينية ضد مسلمي أوروبا مرتدية ثوب الديمقراطية».

وأضاف : للأسف فقد سلك القائمون على الاستفتاء أسلوباً أقل ما يقال عنه : إنه عنصري ، فبعد ثلاثة أشهر من الحرب الإعلامية الشرسة على المآذن والإسلام والمسلمات وربط كل ذلك بالإرهاب ، كما تبين من خلال الصور المعروضة في الشوارع ، وإخراج المآذن في شكل صواريخ حيث قبع المواطن السويسري العادي

تحت هذه الحملة ، ماذا ستكون النتيجة؟

كما نستطيع أن نرصد بوضوح أن كثافة الضجة الإعلامية التي صاحبت الاستفتاء .. وإضافة « النقاب » إلى صور الحملة ، تدلان بوضوح على أن « المآذن » ما هي إلا ذريعة لفرض مزيد من الضغوط على المسلمين لإفقادهم هويتهم ودمجهم في الثقافة الأوروبية.

* البروفيسور طارق رمضان أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد يتسائل : ليس هناك إلا أربع مآذن في سويسرا ، فما هو الذي جعل مبادرة حظر المآذن تنطلق من هناك؟ مؤكداً أن سويسرا مثل معظم البلدان الأوروبية ، تواجه ردة فعل على المستوى الوطني على تزايد المظاهر الإسلامية في ربوعها ، وما المآذن إلا ذريعة لشن حملة على الإسلام.

كما أنه يضع هذا الاستفتاء في إطار أعم ، قائلاً : لكل بلد أوروبي رموزه أو مواضيعه الخاصة التي يستهدف من خلالها المسلمين .. ففي فرنسا .. البرقع أو الحجاب .. وفي ألمانيا المساجد .. وفي بريطانيا العنف .. وفي هولندا المثليون .. وهكذا دواليك.

وبالرغم مما تحمله نتيجة الاستفتاء ، والمؤشرات التي تبعتها – من دلالات تدعو للقلق بشأن التعايش السلمي للمسلمين في الغرب ، فإن البعض قرأ نتيجة الاستفتاء ، قراءة مغايرة باعتبار أنها تدل على أن ٤٣٪ ممن شملهم الاستفتاء رفضوا حظر المآذن.

* الشيخ إبراهيم عبد اللطيف الغايش إمام مسجد في « لاتينا » يعتبر أن هذا الاستفتاء أمر إيجابي له دلالته المهمة خاصة إذ علمنا أن التمايزات طفيفة جداً بين المجتمع السويسري وغيره من المجتمعات الأوروبية فيما يتصل بالإسلام ، إذ هي

تتعرض على مدى الساعة لحملات مكثفة للتخويف من المسلمين.

لكنه لفت في الوقت ذاته إلى ضرورة الاستفادة من تلك النسبة ، ومد جسور التعارف والتفاهم معها ، والعمل على إيجاد قنوات أفضل للتواصل مع هذه المجتمعات بشكل عام.

*الدستور السويسري .. الجدير بالذكر أن الدستور السويسري يتيح لأية مجموعة من المواطنين إطلاق مبادرات شعبية لإدخال تعديلات عليه .. و إلغاء قانون سبق للبرمان إقراره.. أو تقديم مقترحات جديدة من خلال جمع ١٠٠ ألف توقيع خلال ١٨ شهراً فيما يسمى بنظام « الديمقراطية المباشرة » ، وفي حال التصويت على المبادرة فلا يمكن إلغاؤه عن طريقة مبادرة أخرى.

ويعيش في سويسرا – التي تقع في منطقة جبال الألب – أكثر من ٤٠٠ ألف مسلم من تعداد السكان البالغ حوالي ٧,٧ مليون نسمة ، والإسلام من حيث عدد اتباعه هو الديانة الثانية هناك.

وبحسب « جان فرانسوا مايير » مؤرخ مهتم بالحركات الدينية – في كتاب « معارك حول الإسلام في الغرب ».

فعندما أثير الجدل حول المآذن في سويسرا عام ٢٠٠٥ ، لم يكن هناك سوى مئذنتين فقط ، الأولى في مدينة « زيورخ» منذ عام ١٩٦٣ ، بارتفاع ١٨ متراً ، والثانية في « جنيف » منذ عام ١٩٧٨ بارتفاع ٢٢ متراً.

ثم في عام ٢٠٠٥ أطلقت جمعية تركية مشروع « مئذنة رمزية » بارتفاع ٥ إلى ٦ أمتار في مدينة « فانجن » فواجه المشروع اعتراضات أدت إلى رفضه ، ثم ألغى الرفض بشرط عدم استخدام المئذنة لغرض الآذان ، ومن ذلك الحين والأحزاب اليمينية تعتبر « المئذنة »مؤشراً على أسلمة زاحفة .

من هنا نستطيع أن نخلص مما سبق، إلى أن هذا الاستفتاء وما صاحبه من جدل قبل وبعد إعلان النتيجة ، يمثل تحدياً كبيراً للحكومة السويسرية ، واختباراً لقدرتها على المحافظة على وحدة نسيج المجتمع بتمايزاته العرقية والدينية والسياسية.

وهنا السؤال : هل ستنجح الحكومة السويسرية في ترسيخ سياسة الانفتاح الديني والثقافي مثل نجاحها في الانفتاح الاقتصادي ؟.

وهل يستطيع مسلمو سويسرا إطلاق مبادرات شعبية مماثلة ، وحشد الأصوات والطاقات ، ولكن باتجاه ترسيخ الاندماج والتعايش السلمي؟

وهل ستكتفي الدول الإسلامية ببيانات الشجب والإدانة ، أو ستتخذ مبادرات استباقية للتواصل مع المسلمين هناك ، ودعم مواقفهم من ناحية ، وللضغط على الحكومات الأوروبية من ناحية أخرى؟

* ويؤكد الدكتور أحمد طه ريان أستاذ الفقه بجامعة الأزهر أن المآذن لم تكن شرطاً في بناء المساجد ، ولكن المهم أن يصل صوت المآذن ليعلن عن إقامة الصلاة ، ولكن صارت المآذن شعاراً للمساجد ، وتعني وجود مسلمين في هذا المكان ، محذراً من أنه ينبغي عدم الاستهانة بهذا الأمر بحال من الأحوال ، بل ينبغي الحرص على وجود هذه المآذن وعلى ولاة الأمر الذين يحكمون البلاد الإسلامية أن يكون لهم وقفة ودور مع هذه الدول التي تتهاون وتستهين بشعائر المسلمين حتى يتراجعوا عن هذا الموقف.

مشيراً إلى وجود وسائل كثيرة منها التهديد الدبلوماسي وتجميد العلاقات ووقف التعامل الاقتصادي خاصة أن هذه الدول لا تعرف إلا لغة المصالح ، وبلاد المسلمين تباع فيها المنتجات الغربية .. والساعة السويسرية من أشهر المنتجات في الأسواق العربية والإسلامية .

ويطالب الدكتور طه ريان الحكام المسلمين بصوت مسموع واحتجاج على ما قامت به هذه الدولة ، وما قد تقوم به دول غربية أخرى على الدرب نفسه ، فهذه خطوة ستتبعها خطوات أكثر خطورة ، ولابد من بحث أسباب ومبررات ما قامت به هذه الدولة التي تتشدق بالحريات وحقوق الأقليات ولكن لابد أن نبحث عن رد فعلنا نحن المسلمين على ما حدث ، وإن حظر المآذن هو محك الاختبار بالنسبة للمسلمين فإن تساهلوا فستتلوه خطوات أكثر خطورة ، وهي إزالة المساجد ليصلي كل مسلم في بيته .

* الدكتور أحمد عبد الرحمن – المفكر الإسلامي – وأستاذ علم الأخلاق أشار إلى أن مسألة العداء الغربي للإسلام ليست قضية اليوم أو أمس ، وإنما للقضية خلفية قديمة فمنذ الحروب الصليبية والعداء مشتعل من الغرب للمسلمين ويظهر هذا العداء في فكرهم وإعلامهم وصحافتهم وفي كنائسهم ، فكل شيء يغذي هذا الفكر العدائي للمسلمين ، وإن كانت المادية والإلحاد خففا من هذا العداء ، لكن ظلت العداوة متغلغلة بعمق في قلوب الأوروبيين تظهر من حين لآخر ، مرة في الرسوم الكاريكاتيرية التي تسخر من النبي ﷺ وتارة في منع الحجاب .. وتارة أخرى منع بناء المآذن.

ويوضح الدكتور أحمد عبد الرحمن بقوله : إن هناك تخوفاً من أسلمة سويسرا .. وذلك لضعف أيديولوجيتهم وثقافتهم ، فهي أيديولوجيا ضعيفة ، ولن تصمد كثيراً ، هذا مع دخول الكثير منهم في الإسلام ، خاصة من علمائهم ومفكريهم وهذا يعدونه غزواً إسلامياً للغرب حتى وإن كان المسلمون الموجودون ليس لهم دور في ذلك ، غير اعتقادهم أن دخول بعضهم في الإسلام غزو إسلامي يقضي عليهم وعلى ثقافتهم.

فمع فضل محاولات الغربيين لتحويل المسلمين إلى النصرانية والإلحاد يغيظهم تمسك المسلمين بعقيدتهم وإيمانهم وعبادتهم ، وهم على يقين أيضا من أن المآذن ليست من عقيدة المسلمين ولكنهم يحاربون هذه المآذن لكونها ثقافة إسلامية ، فلا يريدون لهذه الثقافة وهذه الرموز أن تنتشر في سماء أوروبا.

* الدكتور أحمد شوقي الفنجري – الأستاذ بجامعة الأزهر السابق – يقول : إن أسباب إرجاع حظر المآذن إلى العداء الغربي الإسلامي أو « فوبيا الإسلام » ، يشير إلى أن العداء الغربي للإسلام والخوف من انتشاره هو القاعدة التي يسير عليها الغرب.

ففي سويسرا يعيش ٤٠٠ ألف مسلم ، وهناك أربعة مساجد فقط هي التي بها مآذن أما باقي المساجد فلا مآذن بها ، ولكن لأنها شعار المسلمين فهم يحاربون هذا الشعار ، ويحاربون الإسلام حتى في أبسط مظاهره ، ومما يؤكد هذا العداء أن كل العقائد تمارس شعائرها بمنتهى الحرية ، ولم نسمع مثلا أنهم حظروا أجراس الكنائس .

ولكن من ناحية أخرى لا ينكر الدكتور الفنجري تأثير سلوكيات بعض المسلمين التي تتسم بالعنف والغلظة أن تكون سبباً آخر في ذلك ، فبعض المسلمين في الغرب قاموا بأسوأ دعاية للإسلام ، فكما قال الإمام محمد عبده : « الإسلام محبوب بمبادئه» ، أقل أيضًا: « الإسلام مبتلى بأهله » مؤكداً في الوقت ذاته أنه لن يجدي مع الغرب إلا الطريق السلمي لإظهار حقيقة الإسلام ، وان يغير المسلمون من سلوكهم ليكونوا قدوة ، وان يتأكدوا أن النصر للإسلام ، وقد قال المفكر « رنارد شو » : إني أرى في الإسلام دين أوروبا في أواخر القرن العشرين » وقال : « إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون كلنا مسلمون » ، فالإسلام ينتشر لا بالمسلمين ولكن بقوته الذاتية.

* الدكتور محمد رأفت عثمان أستاذ الفقه بجامعة الأزهر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية يقول : يجب أن نعترف بتقصير المسلمين فيما يتعلق بدورهم الإعلامي في سويسرا ، لبيان أن المآذن ليست إلا رمزاً لدور العبادة ، وقد وضح هذا التقصير بعدما تبين نجاح الحزب اليميني المسيحي صاحب الدعوة إلى حظر بناء المآذن وقيامه بدور إعلامي كبير حتى استطاع التأثير على الشعب السويسري للتصويت إلى ما يسعى إليه رغم أن سويسرا من أكثر الدول الغربية التي تتمتع بحرية إعلامية ولذا كان يجب على مسلمي سويسرا والجالية الإسلامية الاهتمام بهذه القضية .

الأمر الثاني : الذي يشير إليه الدكتور رأفت عثمان أن المسلمين يجنون الثمرة المرة لما زرعه المتطرفون من المنتسبين للإسلام من جرائم أدت لتخويف الغرب من الإسلام وأتباعه وبعد أن أصبح يقيناً لدى الغربيين أو على الأقل كثير منهم أن العملية التي ارتكبت في أحداث ١١ سبتمبر فعلها هؤلاء ، بل إن زعماء هؤلاء الجماعة المتطرفة يتباهون بهذا ، وقد أصبح من الأمور المستقرة الآن إن أي حادث إجرامي يحدث في بلاد الغرب فإن أول ما تشير إليه أصابع الاتهام هم المسلمون ولهذا فعلى الجاليات الإسلامية الواجب الكبير والعمل المستمر داخل البلاد التي يعيشون فيها لإبعاد الإسلام عن الإرهاب.

الأمر الثالث : أنه يغيب في كثير من الأحوال حكام المسلمين في المصلحة التي تهم المسلمين عامة ، وهذه القضية لم تأخذ حقها من اهتمام حكام المسلمين والواجب أن يفعل الحكام كما تفعل الصهيونية العالمية من تحديد الأهداف والتطبيق على أرض الواقع.

الأمر الرابع : أن المسلمين أخذوا هذه لقضية بحساسية شديدة وكان عدم وجود المآذن في المساجد سيجعل المسلمين يتركون الصلاة ، على الرغم من أن المآذن ليست

من جوهر المسجد وليست شرطاً لصحة الصلاة .. ولا ركناً من أركانه ولكن على مسلمي سويسرا أن يتغلغلوا في المجتمع الذي يعيشون فيه بالاشتراك في كل مناحي الحياة في الإعلام والصحافة والنوادي والنقابات وأماكن التجمعات ، فهي بيئة صالحة لإظهار حقيقة الإسلام وبعده عن الإرهاب حتى يعرفوا حقيقته.

* الدكتور عبد السميع أبو الخير عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر يتفق مع الرأي السابق في أن الدور الأكبر في رد الفعل على هذه القضية يقع على المسلمين الذين يعيشون في سويسرا ولكن في الوقت ذاته ينبغي عدم تجاوز خط إلى خط آخر أو أن تكون ردة الفعل عفوية بحيث تضر بصورة المسلمين والإسلام ، فعلى المسلمين في سويسرا اللجوء إلى الطرق الديمقراطية في المحاكم السويسرية ، وأيضا المحكمة الأوروبية وهنالك منافذ كثيرة سوف تستمع لرأيهم وقد أدانت بعض هيئاتهم نتيجة هذا التصويت.

وبعد أن يستنفذ مسلمو سويسرا كل الوسائل السلمية يناشدون العالم الإسلامي ليستخدموا الأسلوب الهادئ في معالجة القضية وعليهم أن يدخلوا الغرب في نفس جحرهم وهو جحر الحديث عن الديمقراطية من خلال بيان سماحة المسلمين مع غير المسلمين في بلادهم وكيف أنهم يعملون ويتعاونون كشركاء وطن.

ففي مصر وعلى الرغم من وجود الأغلبية الساحقة من المسلمين ، إلا أن مصر تسمح ببناء الكنائس .. والكنائس في مصر تعلوها الأبراج ، بل وتحميها كجزء من حماية الشركاء في الوطن ، بلا تعصب ولا تطرف وهذه مسلمة إسلامية قد لا يعيها الغرب ولا يعرفها.

وبعد أن حاول المسلمون توضيح وبيان سماحة الإسلام على أرض الواقع ومن خلال معالجة الأمر بهدوء وعقلانية ، فإذا لم يصلوا لنتيجة فإن لهم ظهيراً في العالم

الإسلامي ، وعلى هذا الظهير أن يستخدم أسلحته بعقلانية ، وان يقدم للمسلمين بضاعتهم بطريقة صحيحة ، فوسطية الإسلام هي أهم ما في أيدي المسلمين ، ومن ثم يجب أن يحسنوا التعبير عنها ، فيجب على المسلمين أن يدافعوا عن قضاياهم بعقلانية وعلى الجاليات الإسلامية أن ترفع شعارًا نحن نحافظ على ثوابتنا دون تنازل ونعيش في مجتمعاتنا دون ذوبان.

ويعقب الدكتور عبد السميع أبو الخير بأن الدعوة إلى الإسلام بالقدوة والسلوك هي أخطر من قضية المآذن ، موضحاً كيف انتشر الإسلام في ربوع آسيا وإفريقيا من خلال سلوك المسلمين ومعاملاتهم مع غيرهم.

وحول ما قد يتشدق البعض بالقول إن المآذن ليست جزءاً من المسجد ، أنه يمكن القول بهذا ، ولكن داخل البلاد الإسلامية ، أما في دول غربية فإن المئذنة حق لا يمكن التفريط فيه ، لأنه يعبر عن الهوية ، ولكن يؤكدن ضرورة وجود رد فعل للمسلمين دون تهور في ردود الأفعال فكل مستوى من المرض له مستوى من العلاج.

وبين الحين والآخر يسفر الغرب عن وجهه القبيح ويجاهر بما يخفي للمسلمين من الاضطهاد والتعصب الأحمق الأعمى .

فتطالعنا وسائل الإعلام بما يفجع المسلمين ، وليس ديننا وهويتنا ورموزنا الإسلامية ، فبالأمس القريب اتهم ساركوزى الرئيس الفرنسي النقاب بأنه رمز للاستعباد.

وقتلت مروة الشربيني بيد المتطرف الألماني بسبب حجابها .. ومهاجرة نيجيرية تضرب حتى الموت ويضحك قاتلوها وهو يرتكبون جريمتهم .. وشاب مغربي يقتل لأنه رفض أن يعمل مرشداً للسلطة ضد المسلمين ، دون أن يسأل عن عقاب

قاتليهم أحد.

دور الأسرة في الدفاع عن الإسلام

وها هو الاتحاد الأوروبي يمنع ممارسة المسلمين لبعض الرياضات في الأندية الأوروبية بحجة أنها تعزز لديهم العنف ، وغير ذلك الكثير لإهانة المسلمين وإذلالهم والقضاء على هويتهم الإسلامية .

فإما أن يذوبوا في المجتمعات الغربية وينبذوا دينهم وهويتهم ، وإما أن يطردوا وتمنع المآذن في سويسرا.

وهذا هو الغرب .. الغرب الذي طالما تشدقنا بمدى تحضرهم وحريتهم ، ولطالما حلمنا وتمنينا أن نتمتع بمثل حريتهم ، الحرية في أن تعتنق ما تشاء ، وتدين بما تشاء .. وترتدي ما تشاء – وتختار طريقة حياتك التي تلائمك دون أن يلومك أحد.

والسؤال هو : إذا كانت الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين .. فمنع المآذن حلقة في سلسلة انتهاك حرماتنا يوماً بعد يوم .. فهل سنقف مكتوفي الأيدي؟ وهل سنخذل إخواننا ونتركهم فريسة ما يحاك لهم يوماً بعد الآخر؟ وماذا يمكن أن نقدم لهم؟

وإذا كانت الأسرة هي الخلية الأولى المسئوولة عن الحفاظ على الهوية فما دور الأسرة المسلمة تجاه أزمة منع المآذن في سويسرا؟ وكيف تدير الأزمة لتؤتى ثمارها في توعية أفرادها واستنفارهم للقيام بواجبهم تجاه دينهم وإخوتهم في الغرب؟

هنا يأتي دور هذه الأسرة في كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية والدفاع عن الإسلام أمام هذه الهجمة الشرسة ضده ، لذلك اتجهت هذه الأسرة لتوعية الأبناء فيما يحدث حولهم وكيفية الحفاظ على وحدة هذه الأسر بتماسكها في التوعية بالدور

الإسلامي في جمع وحدة هذه الأسر وهذا ما تؤكده السيدة هدى محمد – زوجة وأم لطفلين – تقول : إن اللبنة الأولى في أي مجتمع لترسيخ مفهوم أية قضية عند الأبناء تكون من خلال الوالدين ، واصفة دورهم بأنه عدة إيمانية لتمكين دين الله في الأرض ، مشيرة إلى ضرورة اتساع دائرة التأثير من خلال التحدث في أية تجمعات عائلية عن القضية وكيفية الدفاع عنها.

فلابد أن تكون الأسرة جبهة دفاع من خلال أفرادها للدفاع عن القضية وذلك من خلال التجمعات الأسرية الأسبوعية ، وأن تشمل أكبر فرد وهو الأب إلى أصغرهم من الأبناء والالتفاف جميعاً لمشاهدة الأخبار والتحدث عن الانتهاكات التي تحدث والاضطهاد الذي يتزايد يوماً بعد يوم.

* السيدة إيمان سيد تشير إلى أهمية دور الزوجة خاصة كعضو فعال في الأسرة ، وأن لا تكون مغيبة عن تلك القضية خاصة أن الكثير من النساء لاهيات في هموم وقضايا أخرى عديدة ولا يعلمن شيئاً عن قضايا المسلمين سواء في الداخل أو في الخارج، فالمرأة المسلمة على مر التاريخ كان لها الدور الأساسي كزوجة وأم في شحذ الهمم والحث على الدفاع عن الهوية والعقيدة ، وتسرد قصة لشاب كان في مقتبل العمر يمضي في الطرقات معتزاً بنفسه وإسلامه ودينه بشكل مبهر ، فذهبوا إلى أمه وسألوها عن السر فقالت لهم : حين بلغ من العمر خمساً علمته القرآن والشعر – وما كان عليه الآباء والأجداد من السلف الصالح ، وعلمته الفروسية الشجاعة والإقدام ، وقلت له : انتظر الطارق يناديك – الجهاد – فكان ما كان عليه من السلوك والتصرف.

* السيدة مها عويس ترى ضرورة التحدث مع الجيران وزملاء العمل وأصدقاء الأولاد عن القضية ونشر مفهومها الصحيح فيما بينهم .. فضلاً عن السعي وراء

إيجاد رأي عام لقضية محاربة الرموز الإسلامية كلها .

وأشارت إلى ضرورة إبداء الصورة أمام العالم بأكمله .. إن المسلمين لن يصمتوا ولن يتزعزعوا أبداً ، موضحة أن تلك الصورة لن تأتي إلا من خلال الأسرة ، والتي هي الخلية الأولى في بناء أي معتقدات لأي مجتمع ، خاصة أنها مهمة شاقة ولكن لا سبيل غيرها.

والمعروف لدينا نحن – المسلمين – أن المسجد ليس مجرد مبنى ، بل هو شعيرة إسلامية ودار عبادة ، ومظهر إسلامي ورمز ، فأين هي الحرية التي يفخر بها الغرب بأنهم حماة لها ؟ هل معنى الحرية عن الغرب هو حرية الكفر فقط ؟ هل هي حرية العري؟

* السيد عبد الله زكي يرى أن واجبنا أن نتمسك بديننا لنستحق رعاية الله عز وجل ونصره . ولتحرص الأم على حجابها وحجاب ابنتها ، والرجل على حجاب زوجته وابنته . حجاباً يرض الله به ، وأن تعود الأسرة المسلمة إلى مرجعيتها الإسلامية ، وأن تحرص على تفوق أفرادها وإبعادهم واجتهادهم لنضع أمتنا على رأس الأمم ففي هذا نصر لديننا ، وأن نعرف الناس من حولنا بقضايا المسلمين ونحثهم على التمسك بالدين ونحذرهم من أن يكونوا ببعدهم عن الدين سبباً في انتكاس المسلمين.

* السيدة سيدة إسماعيل تطالب كل أفراد الأسرة بأن يتفقوا على تحريك الغيرة في الدائرة المحيطة بهم لأنها تشعر أنه مازال أفراد كثيرون لم يستشعروا خطورة الموقف خاصة الشريحة التي على وعي باستعمال وسائل الإعلام (إرسال رسائل الموبايل والإيميل) وترشيد استغلال الوسائل الحديثة في توعية الناس وتفعيل القضية بالحرص على المداخلات أثناء البرامج ومراسلة القنوات الفضائية .

لابد أن يشعر أفراد الأسرة الكبيرة والصغيرة بأن منع المآذن انتهاك لحرماتنا، وننقل هذا الحس إلى الدوائر المحيطة بأكملها: الأسرة والعائلة والمجتمع والزملاء، مع استشعاره إيمانياً بتكثيف الدعاء وصلاة الحاجة والصيام.

وتضيف - وأتمنى أن نستثمر تربويًّا في بناء شخصية أبنائنا في إطار الأخوة العالمية والترابط والانتماء، وفي توصيل مفهوم الإسلام، وعالمية الأخوة ونشر كل خبر عالمي عن التحرك من أجل مناصرة القضية.

* السيدة ميرفت محمد استشاري اجتماعي - ترى أن الحدث فرصة لشحذ الهمم وإحياء العزائم خاصة لدى الأطفال وسط انشغال الأسر - مما يترتب عليه الفتور لديهم، فهذه الأزمات فرصة لإحياء عزائم الأطفال وتعزيز الوازع الديني لديهم فنعودهم ألا يتباطؤوا في أداء الشعيرة وأن يواظبوا عليها، والمسارعة بالطاعات والتغيير إلى الأحسن وتقوية العلاقات التي يوجدون فيها، وتوجيههم للقراءة عن الغرب ليلموا بأنفسهم ما إذا كان ما يدعونه من قبل الحرية أم قهر الحريات.

* السيدة نادية زين: إن أزمة منع المآذن فرصة لربط أولادنا بالمسجد لأن كثيراً منهم لا يدخلون المسجد إلا لصلاة الجنازة، وذلك بإحياء سنة ترديد الآذان واصطحابهم للمسجد وإحياء الرباط الروحي بينهم وبين المسجد ليصبح بيتًا ثانياً لهم، فارتباط الولد بالمسجد والمئذنة يشكل هويته ويمكن أن يجمع صوراً للمساجد أو برسمها بالقص واللزق الملون ويعلقها في داخل البيت أو مدخله ونصحبه لزيارة المساجد الأثرية في الأجازات. ويقرأ عنها وتجري بينهم مسابقات عن أطول المآذن ويراسل أصدقائه في العالم لمدهم بمعلومات مضادة لما يسمعونه.

وإن القضية ليست فقط منع المآذن ولكن سلسلة الرفض للرموز الإسلامية ومحاولة طمس الهوية عن طريق طمس الرموز وتفريغ المساجد من روادها ثم منع

بنائها أساساً كما تعودنا.

* السيدة فاطمة محمد استشاري رياض أطفال ترى أن واجب الأسرة أن تستثمر الحدث تربويًّا بأن تعقد ورشة عمل مع الأبناء ، كل طفل يضع تصوره عن كيفية تعريف غير المسلمين في الخارج أن المئذنة رمز يعبر عن عقيدة الإنسان المسلم.

ويمكن أن نعمل بحثاً عن بداية بناء المساجد في الإسلام والهدف منها وتعرض صوراً لأشهرها وأن مآذن المساجد من الآثار الإسلامية التي يزورها الأجانب لو ألغيت سيمحى شكل المسجد ، ولابد من أن نواصل للأطفال أن الحرية ليس لها حدود طالما لا تؤذي الآخرين ، والمئذنة لا تؤذي أحدًا كما يجب أن نعلم أبناءنا الطرق الحضارية التي تعبر بها عن حقوقنا ونصل للغرب ، وكيف ينادون بالحرية ، ثم يتوقفون عند الإسلام والمسلمين . وتعويدهم التواصل مع منظمات حقوق الإنسان في الغرب والتي تنتشر مواقعها على الانترنت فيمكن مراسلتها وإقناعها بوجهة نظرنا ، كذلك دعوة الناس في الغرب لزيارة المساجد التراثية ليروا جمالها .. والترويج للتاريخ الإسلامي وبراعة المسلمين في العمارة.

ونبين أهمية إحياء روح مقاطعة بضائع الدول التي تتخذ مثل هذه المواقف والدول الموالية لهم لما أصاب هذه الروح من فتور والتشديد عليها بدءاً من سن ثلاث سنوات.

* الدكتورة منى صبحي أستاذ استشاري تربوي تشير إلى أن الأسرة عندما تشرح هذه الظاهرة ، ظاهرة الخوف من الإسلام ومحاولة طمس ما يشير إلى وجوده في أوروبا من مآذن وحجاب وغيره ، فإنه يجب بث روح الاعتزاز بالانتماء لهذا الدين لأنه دين رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه للناس كافة وأن الخوف منه سببه الجهل قبل أي شيء وبالتالي واجبنا التعريف بالإسلام بكل

الوسائل المتاحة من إعلام وإنترنت .. وأن نراجع أنفسنا لنكون على وعي وفهم ومعرفة بهذا الدين وأن يكون ضابطاً لسلوكنا بحيث تحقق الصورة المطلوبة لتطبيق الإسلام ، لأن الدعوة للإسلام لابد أن تكون بالقول وبالفعل ، فالغرب يحتاج إلى التعامل مع نماذج من الأفراد والدعاة الذين يفهمون روح الإسلام ويحرصون على إيصاله للناس بحكمة ورفق ، ونستطيع أن نحكي نماذج لهؤلاء الأفراد الذين فتح الله على أيديهم بلداناً كثيرة (فتحت إندونسيا على يد ٧ من التجار) ويجب أن ننبه إلى دخول أولادنا إلى الإنترنت واعمل على تفعيل المقاطعة والروابط التي تخاطب الغرب وتتحاور معه من أجل توضيح صورة الإسلام.

* الدكتور حاتم آدم استشاري نفسي يوضح أن تحديد الهوية الذاتية للإنسان بمعنى من «أنا» يشكل ركائز داخل ضمير الإنسان وأعمدة أساسية في شخصيته (الجنس – الدين – الوطن) لأنها هي التي تحدد طريقة تفكيره ومساحة أفكاره وإبداعاته تجاه قضية المآذن .. لابد أن أتساءل ما الدور الذي يمكن أن أقوم به للدفاع ، ورب ضارة نافعة ، فالحدث فرصة لترسيخ الركائز الدينية في شخصية أطفالنا فيتعلمون أن دور العبادة لا تمس ولا تمتهن في أي دين من الأديان . والحدث فرصة لفتح حوار مع الأولاد غير المذاكرة التي أصبحت قضيتنا الأساسية . فالتعليم قيمة لكنه ليس القيمة الوحيدة في الحياة ، لأن الإنسان سلوك وتصرفات ، والحوار مهم جداً لإنضاج شخصية الطفل وإكسابه مفاهيم الحق والحرية والعبادة والتعبير عن الذات . فلابد أن أوسع مدارك الطفل بالكلام في شتى مجالات الحياة ثم نطرح تساؤلات ..

ماذا تفعل لو كنت مكان المواطن السويسري أو مكان الحكومة السويسرية ؟ كيف تعبر عن غضبك ؟ كيف تعبر عن رغبتك التي تراها موضوعية ؟ وتر الآخر مخطئاً في منعك من التعبير عنها؟ ونعلمه الاستماع لوجهة نظر الآخر ، فواجب

الأسرة تقوية الاتجاه الديني لدى أفرادها ، خاصة الطفل والمراهق ، وتوجهه للحوار والتخاطب مع الآخرين.

* الداعية نادية شاهين تؤكد أهمية تربية الأولاد منذ نعومة أظافرهم على احترام المسجد ، بما له من دور متكامل كما كان أيام النبي ﷺ للعبادة والتعلم والتعارف وممارسة أنشطة إسلامية مختلفة ، لتقوية ارتباط الأولاد به وإشعارهم بأن المسجد رسالة وليس مجرد رموز فقط أو مكان للصلاة.

والحدث فرصة أيضاً لتعليم أولادنا إن نصرة الدين ليست بارتفاع المآذن فقط ، بل بحسن الخلق والحرص على كافة الأحكام والآداب الإسلامية .

* الداعية كريمة عبد الغني تضيف أنه لابد أن تشعر الأسرة المسلمة بأهمية شعائر الله وتعظيمها وأنها قضية تقوى وليست مسألة عابرة وأنها من شعائر الله ، فالهندوس عندما طلب منهم قص الشعر ورفع غطاء الرأس رفضوا واعتبروها قضية حياة أو موت لأن إطالة الشعر ووضع غطاء الرأس شعيرة هندوسية وإن كانت تمثل بأي مظهر ديني تطرفاً ، فإذا كان أهل الباطل يحرصون على شعائرهم فما بالنا ونحن على الدين الحق . وتؤكد د. كريمة على مسؤولية الأسرة المسلمة تجاه القضية وتكثيف جهودها لخدمتها خاصة الشباب عن طريق المشاركة الإيجابية وإرسال رسائل للسفارة السويسرية والدخول على المواقع ومخاطبة الشعوب في الغرب ، إلى جانب الدعم المادي للجاليات المسلمة حتى تُفعل الإعلام في الغرب لمناصرة قضيتهم ، وعلى المسلمين أن يستغلوا مثل هذه المواقف لإبراز الوجه القبيح للعنصرية الغربية وكذب ادعائهم بأنهم يناصرون الحريات بل هي مجرد شعارات يتجملون بها ولا تعبر عن حقيقة مفاهيمهم.

* الدكتورة عزة أحمد عبد الرحمن أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن بكلية

الدراسات الإسلامية للبنات بجامعة الأزهر أوضحت أن واجب الأسرة أن تعرف الأولاد من خلال مثل هذه الأزمات من هو عدوهم عن طريق جمع الأولاد لمناقشة الأزمة ومتابعة الأخبار حولها ومحاولة معرفة البضائع التي تأتينا من هذه الدول التي تظهر العداء لنا لمقاطعتها .. كما يمكن إعداد نشء يعتز بدينه ويتمسك بتعاليمه ويهب حمية له وقتما تتطلب المواقف. يبدأ منذ النشأة الأولى للطفل ، فعلى الأسرة أن تجعل الغاية الأولى لها الحفاظ على القرآن واللغة وإن كان مطلوباً أيضاً التفوق في سائر العلوم وتعلم اللغات الأجنبية فهناك من يحرصون على التعليم الأجنبي ومحادثة أولادهم باللغات الأجنبية في البيت مما يضعف انتماءهم وهويتهم الإسلامية ، كما يجب أن نربي أولادنا على أن يكون لهم هدف وعلى بث الثقة في نفوسهم وتهيئتهم لأن يكونوا كالصحابة في جهادهم وحمايتهم للإسلام ، عن طريق قصص الغزوات والبطولات والتربية بالمواقف ، فنوجههم لمشاهدة البرامج والأفلام والتمثيليات الهادفة لتربية الطفل والرجل والبنت الملتزمة بالإسلام ومصاحبتهم في مشاهدة وسائل الإعلام وبيان مدى اتفاق واختلاف ما يرونه مع الشرع لتربية روح التميز بالشريعة مهما كانت ظروف المجتمع الذي يتواجدون فيه ، والحرص على ربطهم بالشريعة في كل صغيرة وكبيرة في جوانب حياتهم حتى تصبح مرجعيتهم في الحياة.

في البداية يجب أن ننظر على هذا الاستفتاء بملاحظتين:

الأولى: هي أن نتيجة الاستفتاء جاءت مخالفة تمامًا لاستطلاعات الرأي التي كانت تشير حتى صبيحة يوم الاستفتاء إلى رفض الحظر بنسبة ٥٣٪ مقابل موافقة ٣٧٪ على الحظر وامتناع ١٠٪ عن تحديد مواقفهم واستطلاعات الرأي في الغرب لها وزنها، وقل إن لم يندر أن تكون النتيجة مخالفة لهذه الاستطلاعات.

الثانية: فهي النسبة العالية التي حصل عليها قرارا الحظر وهي ٥٧,٤٪ والمعروف في الغرب أن الحسم في الاستفتاءات أو حتى انتخاب رئيس الدولة يكون بنسبة قليلة فوق الـ ٥٠٪ وقد لا تزيد هذه النسبة في معظم الحالات عن ٥١٪ فلا بد أن شيئًا ما قد تغلب في لانهاية وجعل أصوات الشعب السويسري تعطي موافقتها على الحظر بهذه النسبة العالية ربما غير المسبوقة .. وهذا الشيء ليس خافيًا، بل هو فعل الفوبيا المرض الخطير الذي استشرى بين الناس في أوروبا وأميركا.

مرض «الفوبيا» هو مرض نفسي يعني الخوف الشديد والمتواصل من موافق أو نشاطات أو أجسام معينة أو أشخاص، هذا الخوف الشديد والمتواصل يجعل الشخص المصاب به عادة يعيش في ضيق وضجر، إنه إرهاب القلب أو الخوف اللامنطقي ويكون فيها المريض مدركًا تمامًا بأن الخوف الذي يصيبه غير منطقه، ولقد بدأت نوبة الخوف من الإسلام تنتشر في أوروبا والولايات المتحدة انتشار النار في الهشيم ويربد البعض بداية هذا الخوف بالحروب الصليبية، وأصبح ذكر الإسلام والمسلمين مقترنًا إلى حد بعيد بمصطلحات من قبيل الإرهاب والعنف وما شاكلها، وهذا الجانب هو ما تم استثماره للوصول إلى هذه النتيجة في الاستفتاء ولقد نال هذا المصطلح درجة من القبول اللغوي والسياسي إلى حد قيام السكرتير العام للأمم المتحدة برئاسة مؤتمر بعنوان (مواجهة الفوبيا من الإسلام) في ديسمبر ٢٠٠٤ فضلاً عن إدانة قمة المجلس الأوروبي للفوبيا من الإسلام في مايو من السنة نفسها.

ونحن في غنى عن القول بأن عامة من صوتوا لصالح قرار الحظر لا يعلمون الإسلام شيئا إلا ما تبثه الدعاية الغربية.

وفتحت نتيجة الاستفتاء شهية اليمين في كل من أوروبا فسرعان ما أعربت قوى يمينية مناهضة للوجود الإسلامي في بلدان أوروبية أخرى كهولندا وإيطاليا والمانيا

عن اعتزامها التحرك لفرض حظر مماثل في هذه الدول وصولاً إلى الهدف الأكبر (أوروبا بلا مآذن)، وبالغ اليمين الهولندي بمطالبته بحظر القرآن الكريم.

أما الكراهية فحدث ولا حرج فهي التفسير الوحيد لكل ما يحدث .. كراهية تتنوع صورها وتتعدد، فمن تحقير شأن المسلمين إلى مهاجمة القيم الدينية الإسلامية مرورا بالاستخفاف بالرموز الإسلامية، وهنا نسأل: إذا كانت المآذن تسبب إزعاجًا للشعب السويسري فما سر هذه الحملة المصاحبة التي سبقت الاستفتاء؟.

والمساجد تم تلطيخ واجهاتها، وبعضها تمت مهاجمته بالزجاج والدعاية السلبية المكثفة حيث كانت تجوب سيارات بمكبرات صوت ترف الآذان في غير أوقات الصلاة، والصورة الرئيسية التي تصدرت لافتات الدعاية لمشروع القرار جعلت النقاب مدفعًا والمآذن قنابل وصواريخ تهدد البلاد.

والحزبان الرئيسيان يعلنان بأن هذه الوقفة للحفاظ على الهوية الثقافية والتاريخية للشعب السويسري، قائلين إن الإسلام لا يتماشى مع القيم الثقافية السويسرية، وإن المسلمين أناس يسعون إلى احتلال سويسرا لأسلمتها.

ولا ننسى «بابا الفاتيكان» الذي أدلى بحديثه المثير للجدل في ألمانيا بعد مضي يوم على الذكرى الخامسة لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حول العنف المتجذر في الإسلام ومن الصعب تصديق الحديث الذي جاء محض صدفة، وتنبع خطورة تصريحات البابا، كذلك من أنها جاءت في أعقاب أزمة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول ﷺ وهو ما يؤكد أن الغرب يعاني من كراهية للإسلام يصعب علاجها وأنه متورط بشن حملات صليبية جديد، في حين لم يتحدث البابا أو أحد أتباعه يومًا ما عن جريمة خطف وتنصير أكثر من سبعة ملايين مسلم من إفريقيا واستعبادهم على يد الرجل الأبيض في أمريكا وغيرها من دول أوروبا وهو الذي يعتبر أن تنصير

المسلمين هو المهمة الأولى لكنيسته.

«باتريك دكلبرك» الكاتب الفرنسي في مقاله في صحيفة «لوموند» الفرنسية واسعة الانتشار بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠٠٤ يعلن بوضوح وصراحة تبدو من عنوان مقالته «إني أكره الإسلام» ويقول دكلبرك في مقالته العدوانية الفجة: (إن الإسلام دين يجلب الجنون والعته؛ لأنه يقيم حاجزًا مرضيًّا بين الجنسين ويمارس القمع الرهيب على المرأة كما ينعته بأنه نسق فكري يقوم على الحرب المقدسة ومن ثم فإن الذبح وقطع الرؤوس ظاهرتان تنرجان في قلب الإسلام ذاته).

وهنا نوجه السؤال للكاتب الفرنسي دكلبرك ما هو موقفه الآن، ويا ليته يكتب الآن تعليقًا يخبرنا فيه السر وراء مقتل «مروة الشربيني» فدمها لم يجب بعد.

وزير الخارجية الفرنسي «برنار كوشنير» يقول معلقًا على قرار حظر المآذن في سويسرا: إن البرقع يشكل مساسًا بحقوق المرأة التي يجب حمايتها، وإنه يقيد حريتها وأعتقد أنه يجب منعه»، وهو في ذلك يساهم في الحملة التي يقودها رئيس دولته الذي قال: «إن البرقع أو النقاب الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها يشكل علامة استعباد، وإن ارتداءه غير مرحب به في فرنسا، وإن النساء المرتديات للنقاب هن سجينات خلف سياج ومعزولات عن أية حياة اجتماعية ومحرومات من الكرامة».

وقامت هولندا ببث فيلم كرتوني «إباحي» يحمل مسمى (فتنة) عن زوجات محمد ﷺ ،ويحتوى على مشاهد فاضحة ومشينة للإسلام والمسلمين لقد كشفت هذه الأحداث عن عمق المأساة التي يعيشها العالم الإسلامي، وتلك هي المنارات الهشة، فقد جاء رد العلماء الرسميين باهتًا ولم يتجاوز مقولة (إن هذا القرار أساء إلى مشار المسلمين).

فلا غرابة، فهم الذين أعلنوا من قبل تمسكهم بحوار الأديان بعد أن أعلن الجانب الأوروبي أن الهدف من هذا الحوار هو تنصير المسلمين، كما أن موقف القيادات السياسية بداو كأنه يتعمد عدم التعليق على هذا الأمر مخافة الصدمة على الناس، على الرغم من إنه لا يتم لقاء زعيم أوروبي أو أمريكي بآخر من دول العالم الإسلامي، إلا ويشكل الحديث عن حقوق الأقليات الجانب الأكبر منه وحتى الشعوب مالت إلى التغاضي وعدم تكدير النفس بذكر هذا الأمر.

المهم في هذه القضية ليست العنصرية المتنامية في المجتمعات الأوروبية ضد الإسلام والمسلمين فحسب، وإنما قيام الأحزاب اليمينية المتشددة بتغذيتها باستخدام أدبيات ضد الإسلام لإرهاب مجتمعاتها وتخويفها من أخطار وهمية وصورة ذهنية مطلقة كاذبة تمثل الإسلام بالإرهاب والقتل.

ويحدث هذا بدون أي مبرر واقعي ولا نجد عذرًا فيما حدث للحكومة السويسرية التي تتحمل المسئولية الكاملة، وكان دورها متمثلاً في الاستفادة – بذكاء– من تجربة الدنمارك، وفي توزيع الأدوار مع اليمين المتشدد لأنها سمحت بإجراء هذا الاستفتاء تحت دعاوى الديمقراطية الزائفة التي لا تعطي مجرد الحرية للأفراد في ممارسة معتقداتهم.

فالحكومة السويسرية لم تراع عدم التكافؤ بين المسلمين والأحزاب السياسية التي استخدمت ثقلها السياسي وجماهيرها في القيام بحرب إعلامية دعائية كاذبة ومشوهة للإسلام والمسلمين. وفي المقابل لم يكن استطاعة المنظمات الإسلامية شن معركة سياسية لأن ذلك هو عمل الأحزاب التي فشلت في هذا التصويت فكانت النتيجة مكافأة التطرف والتشدد على حساب التسامح الإسلامي.

إن سويسرا في هذا الاستفتاء – انضمت بشكل مباشر إلى المناوئين للإسلام

وخاصة مع إلحاحها أن ترتقي نتيجة الاستفتاء إلى مستوى التعديل الدستوري – وبالتالي الحد من الآذان الذي يطلقه المسلمون السويسريون الذين يمثلون الديانة الثانية من حيث عدد السكان البالغ سبعة ملايين ونصف المليون.

لذا يجب على العقلاء في أوروبا أن ينتبهو إلى أن الأمر ليس مجرد تضييق على المسلمين. بل هو يمثل الخطوة الأولى في العودة إلى الوراء، وهذا ما بدأ يخشاه ويتحسب له الكثير، أما إذا أردنا التوقف إلى أهم الأسباب التي أدت إلى تنامي العنصرية وانتشار ظاهرة الإسلامو فوبيا، والتي كان من أهم مظاهرها تصويت السويسريين لصالح قانون يمنع بموجبه استحداث مآذن جديدة فإن أهمها:

١- الجهل بالإسلام من قبل الكثير من شرائح المجتمعات الأوروبية.

٢- قلة الوعي لدى الكثير من أبناء الأقليات المسلمة في أوروبا وممارسة بعض السلوكيات التي لا تعب إلا عن جهل أصحابها ولا تعبر عن الإسلام بشيء.

٣- أعمال العنف التي ارتكبت باسم الإسلام.

٤- ضعف الدول الإسلامية، والتي لم تستطع أن تقدم نموذجًا إسلاميًا حضاريا في الحكم والإدارة، خاصة مع انتشار الاستعباد والتخلف والجهل في معظم الدول الإسلامية للأسف.

٥- استغلال القوى الرافضة للوجود الإسلامي لمساحة الجهل بالإسلام لدى الكثير من الأوروبيين.

٦- إن التهديد الحقيق للهوية الأوروبية ليس في منارة أو مئذنة، وليس في الحجاب، أو في المسجد، بل إن كل هذه الأمور ما هي إلا جزء من التعبير الحقيقي عن هوية أوروبا.

ثم إذا سلمنا جدلاً أن المآذن، وكذلك الحجاب يشكلان تهديدًا للهوية، فإنه يمكن أن يقال وبنفس المبررات إن المساجد ولو من غير مآذن، والأديرة، والثوب الفضفاض واللحية وعمامة الهندوس، وقبعة اليهود، إلى ما لا نهاية، مما يمكن أن نعتبره على أنه رمز ديني أو طائفي. كل هذه الأشياء من غير إضافة مبررات تشكل تهديدًا للهوية الأوروبية، مما سيؤدي إلى انتكاسة خطيرة، وردة كاملة إلى الوراء، وهذا ما لا أظن أن عاقلاً في أوروبا يقبله.

obeikan.com

— ماذا بعد حظر المآذن في سويسرا —

• إنه على المسلمين جميعًا سواء في الغرب أو في الشرق أن يتخيروا الطرق الإيجابية للرد أو الذود عن الإسلام وما يتعرض له من تطاول وإساءات شرع الغرب في البدء فيها منذ سنين طويلة إلا أننا لم نعرف الطريقة المثلى في كيفية التعامل مع هذه الإساءات لأنني أعتقد أن تصويت السويسريين لصالح حظر بناء المآذن إنما هو راجع إلى عدة أسباب منها وأبرزها الانتقادات التي يوجهها بعض السويسريين للإسلام وكذلك المخاوف المتنامية من الهجرة وأنني لا أرى أن الذين صوتوا معهم ليسوا منطلقين من أفكار أيديولوجية أو تجار سيئة شخصية ، وإنما لأن لديهم صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر وما يرد في التقارير للهجمات وأعمال العنف ومظاهر التعبير عن كراهية الغرب وما إلى غير ذلك.

• بجانب مثل هذه العوامل الدولية بعض المشكلات الصغيرة الداخلية في سويسرا والتي عززت هذه المخاوف والشكوك فمثلاً قبيل إجراء الاستفتاء بأسابيع قليلة وقعت حالة موثقة لخطاب مناهض للغرب داخل مسجد في سويسرا مع أنهم يفرقون حتى في وسائل الإعلام بين المسلمين الراديكاليين والمسلمين المعتدلين، كما أن الصورة السلبية للتيارات الإسلامية الجهادية كان لها تأثير كبير على وجهات النظر للناس تجاه المسلمين كافة. وأكاد أشك في لحظة أن الحكومة قد نظرت للأمر من هذه الزاوية الذي كان له أبلغ الأثر على نجاح هذا الاستفتاء لصالح الحظر كما أنني لا أشك أيضًا في الدور اليهودي والذي لعب دورًا إيجابيًا في استثمار الحدث والزمان لأنهم يجيدون ذلك وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالانتخابات.

— ماذا ينبغي على المسلمين فعله؟ —

• جاءت نتيجة الاستفتاء الشعبي السويسري لتضاعف من مشاعر الغضب والسخط من جانب المسلمين في كل بقاع الأرض على الغرب والغربيين فمآذن المساجد لا تمثل استفزازًا لأحد في المجتمعات الأوروبية وهي مجرد علامات تعرف بها المساجد.

• والمسلمون عندما تتاح لهم الفرصة يبدعون في صناعتها لتصبح معمارية رائعة تسهم في الشكل الجمالي الذي تتنافس فيه المجتمعات الأوروبية.

• إن نتيجة الاستفتاء الذي غلب عليه صوت التعصب والانفعال على صوت العقل والحكمة والتسامح كانت خطأ فادحًا وسلوكًا غير مبرر، فالمسلمون في هذا البلد الأوروبي الصغير والذين يبلغ عددهم أربعمائة ألف مسلم ينعمون بالمجتمع الآمن الذي يعيشون فيه، فليس من بينهم أصولي أو متعصب أو إرهابي وهم يتعايشون في سلام مع السويسريين وهذا ما أكده المسؤولون السويسريون عن انطباعهم عن المسلمين في سويسرا.

• إن الأوهام التي في عقول السويسريين لن تحدث من حيث إن الإسلام سوف يزداد في الانتشار عندما تبني المساجد والمآذن ويرفع الآذان عليها مما يؤدي هذا إلى المد الإسلامي الذي سيدفع المسلمين مستقبلاً إلى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية فهذه أوهام تسيطر على عقولهم وليس لها ما يبررها.

• إن كثيرًا من الأوروبيين يجهلون حقائق الإسلام ، بل إنهم يتأثرون بالدعايات الكاذبة والمضللة والمعلومات الخاطئة والاتهامات الظالمة التي يلفقها المتطرفون والمتعصبون ضد الإسلام لذلك لابد من بذل الجهد ومضاعفة العمل لمحو هذه

الصورة السيئة التي رسمها هؤلاء المتطرفون الغربيون لديننا وعلينا أن نوظف المعتدلين الغربيين وخاصة السياسيين والمثقفين ورجال الدين لإزالة الصور المشوهة العالقة بأذهان البسطاء الغربيين عن ديننا.

- إن الحكومات الإسلامية ومجالس البرلمانات في هذه الدول لم تقم بدورها وواجبها تجاه هذه الأزمة قبل وبعد الاستفتاء وقد آن الأوان لكي تتحرك الحكومات وتستيقظ من سبات نومها تجاه هذه المواقف الغربية المسيئة لديننا.

إن الموقف السويسري الذي قاده الحزب اليميني المتطرف شجع حزبًا في هولندا مشابهًا له في الأفكار للمطالبة بطرح القضية نفسها في هولندا ورغم أن هذه الأصوات المتعصبة لا تمثل كل أوروبا إلا أن صوتها عال جدًا ومسموع بفعل وسائل الإعلام الصهيونية المتغلغلة في أوروبا.

حيث انطلقت حملات إعلامية يهودية الصنع باسم الإسلامو فوبيا وهي حالة خوف مرضي من العنف الذي التصق بالمسلمين سواء الموجودين في أوروبا أو في البلاد الإسلامية وأبرزها أفغانستان وباكستان والعراق ولبنان وغزة.

إنه لابد من التحرك لمواجهة هذا الموقف وتدعياته من خلال أربعة محاور:

الأول: استمرار الرفض الشعبي الإسلامي لهذا القرار داخل أوروبا من خلال أساليب احتجاجية حضارية.

الثاني: رفض واحتجاج الدول الإسلامية كلها على القرار من خلال المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الكبرى في العالم.

الثالث: اتخاذ إجراءات قانونية لدى المنظمات الدولية لوقف أو تعطيل هذا القرار.

الرابع: فتح حوار عقلاني مع التيار المعتدل في سويسرا من أن يكون لسفراء لدول العالم الإسلامي وقادة المنظمات دور واضح في تحقيق هذا الهدف.

اتهام المسلمين في تشويه الإسلام:

يعاني المسلمون منذ أمد بعيد من حالة من الانفصام الرباعي الأبعاد، حيث الدين العظيم في قيمه ومبادئه من ناحية ، والحضارة الإسلامية العريقة من ناحية ثانية ثم فترة طويلة من التخلف والجمود الثقافي والفكري والعلمي بل والاقتصادي والاجتماعي من ناحية ثالثة ثم مرحلة ممتدة من الاستبداد التي يتعارض مع كافة المبادئ الإنسانية ويتحدى منطق التطور والأكثر خطورة تدهور حال المسلمين في العالم مما جعل العالم أصبح يرى الإسلام تهديدًا للحضارة ومصدرًا للإرهاب.

* ففي استطلاع أجرته جريدة (الجارديان) البريطانية في النصف الثاني من أغسطس ٢٠٠٦ جاء فيه:

- أن ٥٣٪ من البريطانيين يرون أن الإسلام يشكل تهديدًا للغرب وقيمه القائمة على الحرية والديمقراطية.

- ١٦٪ يرون أن المسلمين مواطنون صالحون يحترمون القانون وينددون بالإرهاب (كانت النسبة ٢٣٪ في العام ٢٠٠٥).

- ١٨٪ أن المسلمين البريطانيين لديهم استعدادًا للقيام بعمليات إرهابية (كانت النسبة ١٠٪ في العام ٢٠٠٥).

* إن السبب في ضلال هؤلاء وجهلهم بحقيقة الإسلام وما فيه من المحاسن والفضائل وما كان للمسلمين في عصورهم الذهبية من التقدم الزاهر والحضارة الراقية والعلوم النافعة.

ثمرة عداء الغرب للاسلام

هكذا يرون الإسلام...

• إن الأوروبيين أو الغرب بصفة عامة كثير منهم يجهل حقيقة الإسلام وما فيه من الفضائل والحضارة الراقية والأفكار المنتجة التي عجز المسلمون عن استثمارها والفوز بالعمل بها فنجد الغرب يرى الإسلام على أنه إعلان بالحرب على باقي الأديان الأخرى معتقدين أنه يكره الآخر ويحض على عدم قبوله ومن ثم فهو يهدد السلم الاجتماعي في بلادهم وأن الإسلام هو الدين الذي انتشرت بسببه الديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي فهو دين يقمع الحريات ولا تحترم فيه الرغبات على عكس التقدم والحرية والديمقراطية التي ينعم بها الغرب بسبب العلمانية وفصل الدين عن الدولة.

• إنهم يرون أن الأرض التي بنى عليها مسجد أو رفعت عليها مئذنة للمسلمين فإنها لم تعد أرضهم، بل أصبحت أرض الإسلام والمسلمين هم يرونه دينًا لا يقوم على الحوار مع الآخر ولا يقبل الاختلاف مع الآخر.

• وقد حاولت الجاليات الإسلامية في الغرب الزود والتصدي لهذا التطاول المستمر على الإسلام والمسلمين نبيًّا وأمةً، فأوروبا ومنذ العام ٢٠٠٤ تتطاول على الإسلام والمسلمين مستفزين بذلك المشاعر غير عابئين بردة فعل المسلمين في الشرق أو الغرب، وذلك من هوان المسلمين هانوا فيما بينهم فهانوا في عيون غيرهم وتعرضنا في هذا الفصل إلى بداية الإساءات منذ قرون بعيدة حتى وصلنا إلى ما يواجهه الإسلام والمسلمين من تطاول لا تقبله الأديان.

هذه ليست المرة الأولى:

• في ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ قامت صحيفة يولاندس بوستن الدنماركية بنشر ١٢ صورة كاريكاتورية للرسول ﷺ وبعد أقل من أسبوعين في ١٠ يناير ٢٠٠٦ قامت الصحيفة النرويجية Magazinet والصحيفة الفرنسية Francesoir وصحف

أخرى في أوروبا بإعادة نشر الصور الكاريكاتيرية.

- وقوبل نشر هذه الصور الكاريكاتيرية بموجة عارمة على الصعيدين الشعبي في العالم الإسلامي والرسمي وثم على أثر ذلك إقالة كبير محرري الجريدة الفرنسية من قبل رئيس التحرير ومالك الجريدة رامي لكح الفرنسي من أصل مصري كاثوليكي.

- قامت الصحيفة الدنماركية بنشر مقالة في الصفحة الثالثة بعنوان «وجه محمد» ونشر في المقال ١٢ صورة في بعضها استهزاء وسخرية من رسول الله ﷺ وإحداهما تظهر عمامته على إنها قنبلة بفتيل وقد حاولت الجالية الإسلامية وقف نشر الصور لكن الصحيفة رفضت ذلك بحجة حرية الرأي والتعبير فقامت الجالية الإسلامية بتنظيم حملة وجولة في العالم الإسلامي للدفاع عن النبي ﷺ.

- وكانت الرسوم مصاحبة لمقال عن المراقبة الذاتية وحرية التعبير بقلم (كاره بلوتجين) وكان المقصود من المقال إبراز الادعاء القائل بأنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن محمد ﷺ بدون إبقاء اسمه سريًّا خوفًا من عمليات انتقامية يقوم بها متطرفون إسلاميون بسبب الاعتقاد بأنه رسم محمد ﷺ محرم في الإسلام ، وكانت الصحيفة قد دعت أعضاء من اتحاد رسامي الكارتون الدنماركية لرسم الرسول ﷺ كما يرونه.

- ولكن التاريخ لهذه الإساءات من الرسوم ليست وليدة العام ٢٠٠٥ ولكن هناك العديد من الصور التي رسمت لرسول الله ﷺ في العديد من الكتب التاريخية منها كتاب (حياة محمد) الذي طبع عام ١٧١٩م في لندن وكان للمؤلف الفرنسي سيور دي ريار وكان في الصفحة الأولى من الكتاب.

وكذا كتاب (حياة محمد) الذي طبع في هولندا عام ١٦٩٩م للمؤلف

M.prideau وفيه يظهر شخص يحمل سيفًا بيده اليمنى ، ورجله اليسرى مستندة على الكرة الأرضية ، وفي يده اليسرى هلال ، وعلى ساعده الوصايا العشر.

- وهناك صور يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى في أسبانيا وفيها يظهر شخص على كتفه الأيسر حمامة بيضاء ومنقار الحمامة قريب من أذنه وهذا الشخص يتحدث إلى ثلاثة رجال وامرأتين وهذه الصورة مقتبسة من تصوير بعض المسيحيين المتشددين المتطرفين في الكنسية الإسبانية لشخص الرسول، حيث ذكر إلجيوس (Elogius)- الذي كان من الذين أبدوا مخاوفهم من تأثير المد الإسلامي على أسبانيا.

- إن الرسول ﷺ شخص بارع في خداع الناس وقد كان يضع حبوب القمح خلف أذنه لكي يحيط الطير على كتفه ويوجه منقاره إلى أذنه كي يتخيل الناس أن الطير ينقل رسالة سماوية إليه وغيرها عبر العصور والقرون.

- وفي عام ١٩٩١ في الفيلم الإيطالي الصامت Linferno ظهر ممثل لثوانٍ في هذا الفيلم قام بدور سيدنا محمد ﷺ وفي عام ١٩٨٨ صوره في كتاب بعنوان (النبي) للمؤلف Jackchick في الصفحة ١٣.

الموقف في الدنمارك بعد الرسوم:

- لقد كان الرأي السائد في الدنمارك نتيجة لهذه الرسوم أنه لا داعي للاعتذار لأن هذه الرسومات لم تخرق أي قانون وأكد ذلك الاستطلاع الذي أجرته الإذاعة الدنماركية على عينة عشوائية من الدنماركيين مكونة من ٥٧٩ شخصًا في ٢٨ يناير ٢٠٠٦ والتي أظهرت النتائج التالية:

- ٧٩٪ يعتقدون أنه لا يوجد داع لأن يعتذر رئيس وزراء الدنمارك للمسلمين.

- ٤٨٪ يعتقدون أن أي تدخل من الحكومة يعتبر انتهاكًا لحرية التعبير عن الرأي.
- ٤٤٪ يعتقدون أن رئيس وزراء الدنمارك يجب أن يكون أكثر فعالية في حل الأزمات.
- ٦٩٪ يعتقدون أنه لا داعي لأن تعتذر صحيفة يولاندس بوستن للمسلمين.
- ٥٨٪ يعتقدون أنه بالرغم من حق الصحيفة في نشر الصور إلا أنهم متفهمون للانتقاد الموجه من قبل المسلمين.

الخروج من حالة التأزم مع الآخر

- إن خروج المسلمين من حالة التأزم الحضاري القائمة التي تحيط بهم من كل جانب ليس في تعليق كل مشكلات المسلمين على شماعة الغير إلى غير ذلك.
- وفي خضم تحمسنا لنقد الآخر وفضح عيوبه وانحرافاته وظلمه وقهره للشعوب وتفسخه على المستوى الاجتماعي وانحلاله على المستوى الأخلاقي والديني ننسى أننا بذلك لا نسيء إلى الآخر بل نسيء إلى أنفسنا لأننا بذلك نتجاهل عيوبنا ونتغاضى عن نقد أنفسنا، فسهام النقد التي في جعبتنا قد تم توجيهها إلى الآخر ولم يعد لدينا سهم واحد في الجعبة يمكن أن نوجهه إلى أنفسنا.
- وبذلك تتراكم مشكلاتنا يومًا بعد يوم دون أن نبذل الجهد المناسب لإيجاد الحلول الملائمة لها فالغرب لنا بالمرصاد يجهض كل محاولاتنا ويمسك بيده كل خيوط اللعبة الماكرة وهذا النمط من التفكير يريح الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية وبالتالي فإذا تخلفنا إذا كان هناك تخلف سببه الآخر وجماهير الأمة من

كثرة تعودهم على سماع ذلك قانعون راضون يصفقون طويلاً لمن على هذا الوتر ويخاطب عواطفهم وانفعالاتهم.

- إن النقد الذاتي هو الخطوة الأولى نحو الوعي بعيوبنا وأدوائنا وما نتحمله من مسئولية لما يعانيه العالم الإسلامي من التخلف ... الوعي بأننا نتحدث كثيرًا ولا نفعل شيئًا إلا أقل القليل ... الوعي بأن هناك واقعًا متخلفًا في إعلامنا الإسلامي يجب أن يتغير، الوعي بأننا نحن المسلمين نسهم بشكل أو بآخر بقصد أو بغير قصد بحسن نية أو بسوء نية في تخلف مجتمعاتنا الإسلامية.

- إن الآخر ينقد نفسه باستمرار وكثير من نقدنا له صادر في الأساس عنه... إننا في عالمنا الإسلامي في أشد الحاجة إلى تعديل مواقفنا وتطوير أسلوب تفكيرنا وتغيير سلوكنا والتعرف على الحقائق بطريقة موضوعية بعيدة عن أي ميول عاطفية أو انفعالات وقتية وهذه كلها أمور تتطلب المزيد من النقد الذاتي.

- إن المرحلة التي يعيشها العالم الإسلامي المعاصر لم تعد تحتمل هذا العبث بمقدرات الأمة فهذه المرحلة تعد من أخطر المراحل الحاسمة في تاريخ أمتنا الإسلامية إن لم تكن أخطرها بعد الهجمة الشرسة من التطاول والتعدي على دين هذه الأمة وعلى نبي هذه الأمة ﷺ من نشر لرسوم كاريكاتيرية تصوره بأنه إرهابي وأنه زير نساء وحاشا عنه ذلك في وجود هذا التضامن الأوروبي والذي اتسم بالتحدي للمسلمين مدعين أن هذه هي الحرية في أسلوب مستفز لمشاعر المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي وكان آخر هذه الهجمة القانون السويسري الذي يحظر بناء المآذن في سويسرا بناء على الاستفتاء الشعبي على هذا القانون والذي دعمه أحزاب يمينية متطرفة، إلا أن ردة فعل الأمة الإسلامية الرسمية والتي تمثلت في حكوماتها إنما جاءت بين التعجب والاستنكار بينما سلكت الشعوب الإسلامية طريق الغضب

مع أن الغضب وحده لا يكفي كما أنه لا يجب أن ننسى أن الغضب عمل سلبي والمطلوب الآن هو العمل الإيجابي.

- إن الضعف يغري القوي بمزيد من القمع لإضعاف وإخضاع الضعيف ومن هنا فإن المسلم عليه واجب كفرد وكجماعة وكدولة ألا وهو العمل من أجل الحصول على العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة لأن هذه هي أداة العصر الحديث ولغته ومحور ارتكاز سياساته أما مسلمو الشعارات البراقة والمبادئ الخداعة فعليهم أن يتواروا حياءً وخجلاً فليس ذلك هو الإسلام.

حزمة من الكلمات والأوصاف التي اتهم بها الإسلام والمسلمون، وكتاب الله (جل شأنه) ورسوله الكريم، عليه أفضل صلاة وسلام، ترويها وسائل الإعلام الإسرائيلية عن الإسلام والمسلمين، وعن رسول الله ﷺ. فتزعم هذه الوسائل الصهيونية أن انتشار الإسلام كان بقوة السيف، و أطلقت الكتب الإسرائيلية الدراسية على الفتوحات الإسلامية التي قادها الرسول ﷺ والصحابة، بأنها «الحملات الحربية الإسلامية»، و تحدثت هذه الكتب عن تلك الفتوحات بأنها «عمليات احتلال إسلامي .. كانت تمثل أكبر الحملات الحربية في تاريخ البشرية، فلم يشهد مثلها العالم منذ عهد الإسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد».

و ذهبت بعض المناهج الدراسية التي تم تحليلها لاعتبارها أن الدين الإسلامي «ليس من عند الله ولكنه مفروض على قبائل شبه الجزيرة العربية من قبل الرسول محمد وأن مجيء الإسلام قد سبب مشاكل كثيرة للمسلمين». و أن الرسول طلب من المؤمنين به الانطلاق بحملات احتلال في العالم من أجل نشر الإسلام في العالم بأسره.

أما معجزة الإسراء والمعراج، فتقدمها المناهج اليهودية على أنها «أسطورة خرافية ابتدعها الإسلام ورسوله ويؤمن بها المسلمون ؛ لأن الرسول قصها على أهله

وأصحابه».وتقدم بعض الكتب الدراسية وصفاً للرسول محمد ﷺ ينطوي على خصال سلبية، وتصفه بالغارق في أحلام اليقظة، والمحارب، والمبتدع للدين الإسلامي، وتعرض صورته بمظهر يبتعد عن حياة التقشف والتواضع والتسامح التي تعرف عنه وعن بقية الأنبياء.

أما القرآن الكريم، بحسب تلك الكتب، فهو من نسج خيال النبي محمد ﷺ، ويستمد جزءاً كبيراً من تعاليمه و قصصه مما ورد في الكتب الدينية اليهودية. وتستخدم بعض الكتب الدراسية في إسرائيل المفردات الدينية اليهودية للتعبير عن المكونات والمفردات الإسلامية؛ فالقرآن يقدم على أنه توراة محمد، ويقدم الحديث النبوي والسنة الشريفة على أنها التوراة الشفهية التي تكمل القرآن.

وخلطت تلك الكتب الدراسية بين مفهوم الجهاد في الإسلام ومفهوم الإرهاب، بل حاولت في بعض الأحيان تقديم الجهاد على أنه صورة من صور العنف والاحتلال. و تضمنت هذه المناهج نصوصا عن الفتوحات الإسلامية تعرضها على أنها تعبير عن روح العداء والعنف لدى العرب.

ارتبطت هذه المزاعم بالدين الإسلامي الحنيف، وبالمسلمين، وبرسول الله ﷺ، لكننا بحاجة إلى تصحيح هذه الصورة المغلوطة بالكثير من الفهم والإدراك لما تلعبه وسائل الإعلام الصهيونية في عقول الغرب، ونتيجة لتوصيل رسائلهم بلغاتهم المتعددة وفي عقر دارهم، من تأليب العالم على الإسلام.

من بين الصور الإعلامية الأخيرة التي نشرت في وسائل الإعلام الصهيونية حول الدين الإسلامي الحنيف أن الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، سقط مؤخرًا أمام الدين الإسلامي المتشدد والأصولي»، ورفع الراية البيضاء للأصوليين في العالم، حيث ذكر الكاتب الإسرائيلي «موشيه فايجلين في صحيفة» معاريف الصهيونية في

الرابع عشر من شهر يونيو للعام ٢٠٠٩، أن أوباما يبذل جهودًا لصالح العرب والمسلمين فحسب، دونما الاهتمام بمصالح إسرائيل، فقد كرس جل وقته للعالم الإسلامي، وما خطابه بجامعة القاهرة في الرابع من يونيو ٢٠٠٩، إلا تكريسًا للضعف والهوان والإذلال أمام الإسلام «المتشدد والأصولي». ومن الطبيعي أن نحاول نقل الترجمة الحرفية لنص المقال الذي يعتبره صاحب هذه الكلمات أنه من الأهمية ذكره للقارئ لاختلافه مع غيره من المقالات التي تربط صراع الإسلام مع الغرب، وربطه بالمصالح الصهيونية وبقاء الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية المحتلة.

فيقول، فايجلين: «سيدي الرئيس أوباما، جاء الوقت الذي أقول لك فيه وأصارحك بصدق، أن ما تبذله من جهد لإذلال وتركيع نتنياهو ودولة إسرائيل يفسر بلا شك أنه تقرب إلى العالم العربي، وأن كان هناك اهتمام عميق أكثر بكثير من تضحية ساخر بإسرائيل سايل المصالح الأمريكية في الدول العربية إخطارًا القاهرة وسياساتك الجديدة تجاه المنطقة تأتي لفترة طويلة بعد سقوط برجي التوءم بمنهاتن بالولايات المتحدة الأمريكية، إن قيادتك ترفع الراية البيضاء أمام الإسلام الأصولي المنضم لمحور الشر والمجند للهوج على إسرائيل، والنجاح الحقيقي على ما يبدو في الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة ليس لك، ولكنها لأسامة بن لادن! فالعالم كله ينظر بدهشة للرئيس الأمريكي وهو ينحني بنفسه أمام الطغاة الكذابين، في الكتاب المقدس، والتناخ، يقول الرب لإبراهيم،: وأبركك وألعنك»، وأمامك يا أوباما أن تختار وشعبك الأمريكي ما بين خيارين، إما أن تكون بجانب البركة أو تكون بجانب اللعنة، والقرار يعود إليك! من القدس حيث يوجد المعبد اليهودي المقدس، كل الشعب الإسرائيلي يدعو الأمة الأمريكية وجميع شعوب الحرية، ألا

تقف أمام خطة السلام الحقيقة المفصلة أو المفسرة في كتاب الكتب، أو الكتاب المقدس، ولا تقف أمام سبط إسرائيل وأرضه أرض السلام، ولكن تجند من أجل سبط صهيون لتنعم بالبركة. وما إسرائيل إلا أنها حصلت على حقوقها من بين أنياب ٢٢ دولة عربية. إنها مشيئة الرب. على الشعب الإسرائيلي من الآن التركيز في قضايا حقيقة وضرورية وليس بإقامة دولة إرهابية عربية جديدة ولكن بالتعاليم اليهودية وزيادة الهجرة وبناء الدولة واقتصاد حر ومفتوح.

وفي الوقت الذي يشدد فيه الكيان الصهيوني على الاهتمام بالتعاليم اليهودية، وزيادة الهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبناء الدولة على أسس صحيحة وقومية، واقتصاد حر ومفتوح، يزعم أن الإسلام والمسلمين سيشكلون ضلعًا أساسيًّا في الحرب العالمية القادمة، والتي يطلق عليها اسم «الحرب العالمية الثالثة»، ومن الأمثلة على هذه الافتراءات والمزاعم، ما كتبه الصحفي اليميني المتشدد «عوز الموج» بصحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، قائلاً: «الإسلام في حرب عالمية قادمة، لأن الدين الإسلامي والمسلمين ضد العالم، وما حزب الله اللبناني إلا دليل دامغ على ذلك، فالحرب الإسرائيلية الثانية على لبنان التي اندلعت أوزارها صيف ٢٠٠٦، ما هي إلا بروفة حقيقية لحرب ستلوح في الأفق، الحرب العالمية الثالثة، بين العالم الإسلامي والعالم الحر».

وأضاف الكاتب الصهيوني الموج، وهو بروفيسور في علم الاجتماعي بجامعة حيفا، في تطاوله على الإسلام والمسلمين إبان الحرب الإسرائيلية الثانية على لبنان، أن شعار «الله أكبر» الذي يردده المسلمون على الدوام في صلواتهم، وفي بيوتهم وفي كافة أشكال الحياة اليومية، وفي كافة أشكال الحياة اليومية باستمرار، ودون انقطاع، يشبه شعار« زيج » هي «بل» باللغة العبرية، وتعني« يعيش هتلر» بالعربية،وهو

الشعار الألماني المعروف، الذي كان يحيا به الزعيم الألماني النازي« أدولف هتلر» وفي الحرب العالمية الثانية وهو ما يعني أن الإسلام في الصورة الذهنية للكاتب الصهيوني، هو النازية الجديدة، في العالم في الوقت الراهن، وهو الإسلام المتشدد، أو التعصب الديني، فحسب كما أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، يحاول محو العالم الحر، مثلما حاول من قبل هتلر، وبأن السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله اللبناني، لم يقم بالحرب الأخيرة بسبب مصالح فلسطينية أو لبنانية، وإنما قام بها باسم الدين الإسلامي لتدمير الشعب اليهودي، ودولة إسرائيل!

تدمير الشعب اليهودي يدفعنا للحديث عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يرى الكاتب الصهيوني «يزهار مزراحي»، في الموقع الإلكتروني الإسرائيلي «haayal»، إن هذه الأحداث بأعمالها الإرهابية، قد أحدثت شرخًا كبيرًا لدى الغرب بصفة عامة والأمريكيين بصفة خاصة، وظهر بعدها تحول كبير في الرغبة تجاه منطقة الشرق الأوسط وشعوبها، ومدى رؤيتهم للعالم الإسلامي، وأصبح شعار الغرب آنذاك هو الحرب على الإسلام، وأول من رفعته الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها حلفاؤها، إلا أن الشعار نفسه تحول من قبل تنظيم القاعدة، والإسلاميين المتشددين إلى الحرب ضد أمريكا، «خاصة أنهم يرون الجنود الأمريكيين وقد دنسوا الأراضي الإسلامية المقدسة بالمملكة العربية السعودية، وهو ما جعلهم يرون فيها دولة العدو أو الشيطان الأكبر»، في الوقت الذي رأت فيه الإدارة الأمريكية منطقة الشرق الأوسط بيتا كبيرًا للإرهاب وأن الإسلام يريد هدم ودس المسيحيين واليهود ورأى تنظيم القاعدة بدوره أن الإرهاب هو الحل الوحيد لوقف زحف أمريكا على المنطقة العربية.

حقيقة مسجد (قرطبة) ..
غرفة واحدة في طابق تثير قضية كبرى!

قد لا ترتبط قضية بناء مسجد في نيويورك بالقرب من مكان مركز التجارة العالمي الذي دمره هجوم ١١ سبتمبر بقرار هندسي أو إداري فقط، وإلا لما أخذ كل هذا الحجم من التفاعل والأخذ والرد.. فالقضية تبدو في أمريكا وفي العالم الإسلامي أكبر بكثير من مجرد بناء مسجد.

ولعل المطالع لبعض الكتابات الغربية والأمريكية التي تطرقت لموضوع المسجد يلحظ تشعب الأفكار والأطروحات التي تناولتها، تطلبت تدخل الرئيس الأمريكي باراك أوباما شخصياً، والذي دخل على خط الجدل الفكري بإعلانه تأييد بناء المسجد.. فما حجم هذا المسجد؟ وأين يقع تحديداً؟ ومن يؤيده أو يقف ضده؟ وما هو مصيره المتوقع؟

الإسلام فوبيا

الإسلام فوبيا أو إرهاب الإسلام.. هذا ما تبدو عليه الصورة في أشد تجلياتها وضوحاً حيال قضية بناء مسجد قرطبة قرب مكان مركز التجارة العالمي الذي دمره هجوم ١١ سبتمبر – فالمسجد (الغرفة) الذي لا يكتسي بأي ملمح ديني فلا مئذنة ولا قباب ويقع في مبنى مؤلف من ٣١ طابقاً في المنطقة المعروفة بالمنطقة صفر، أثار موجة عارمة من الاحتجاجات أدى تلاطم أفعالها وردود أفعالها إلى انعكاسات واسعة على الساحة الأمريكية يغلب عليها طابع الانفعال المبالغ فيه الذي لا

يتناسب مع حجم الفعل، لقد كانت الفرصة مواتية لليمين المتصهين لإذكاء المشاعر التي يتقد أوارها بذكرى يحاول هذا اليمين ربطها بالمسلمين وربط الإسلام بالإرهاب مستغلاً آلة إعلامية ضخمة وفاعلة يقود دفتها ويحرك عجلاتها اليهود الأمريكيون إلا من قلة قليلة تضيع أصواتها المنصفة والمعتدلة في زعيق الضجيج المتعالي.

الدستور الأمريكي الذي يكفل الحريات الدينية للجميع يحاول ساسة يمينيون تئز صدورهم بالحقد على الإسلام والكيد لأهله: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥]. يحاولون أن يلووا عنقه في اتجاه يخرج الإسلام من دائرة التسامح بزعمهم أنه صنو للإرهاب وللعنف، لتخلو لهم الساحة فهم يعلمون علماً لا شك فيه. جاذبية الإسلام ومخاطبته الحميمة لأشواق الأرواح المتعطشة لتعاليمه في الغرب إذا ما عرفوه على حقيقته ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

غرفة في طابق[١١]

قد يتصور البعض أن مسجد (قرطبة) الذي سوف يقام في منطقة مانهاتن في نيويورك، بجانب المبنى الجديد الذي أقيم على أنقاض برجي التجارة العالميين، هو عبارة عن مسجد كبير بحجم المساجد المعهودة، إلا أنه أصغر من ذلك بكثير، فهو عبارة عن غرفة واحدة ضمن طابق يضم مركزاً اجتماعياً.

ويقع المسجد في مبنى مؤلف من ١٣ طابقاً، سيضم إلى جانب المسجد، قاعات اجتماعات ومدرجاً ضخماً بالإضافة إلى مسبح، كما يضم المبنى ملعباً لكرة السلة، ومركزاً لحضانة الأطفال، بالإضافة إلى نصب تذكاري لضحايا هجمات ٢٠٠١، وقد اشترطت هيئة الحفاظ على معالم مدينة نيويورك بأن يقام هذا المركز شريطة عدم إضفاء أي ملامح دينية خاصة مثل القبب أو المآذن وما شابه.

وقد وافق القائمون على المشروع على هذه المطالب، وتم التخطيط لإقامة هذا المبنى والمسجد، إلا أن الكثير من الأمريكيين أعلنوا رفضهم لإقامة هذا المسجد، خاصة وأنه يقع في المنطقة التي تعرف اليوم باسم المنطقة (صفر).

ولعل الاسم الذي اختاره القائمون على المشروع أثار جدلاً أكبر وأوسع، حيث تم اختيار اسم (بيت قرطبة) ليشمل المبنى والمسجد، الأمر الذي وجده البعض إمعاناً في إظهار قوة الإسلام ومجده، خصوصاً وأن اسم قرطبة مرتبط بالفتوحات الإسلامية في أسبانيا التي انتصر فيها المسلمون على النصارى في عقر دارهم.

عداء وتطرف

ما إن أعلنت صحيفة التايمز لأول مرة أواخر عام ٢٠٠٩ عن إمكانية بناء مسجد للمسلمين في المنطقة (صفر) بنيويورك، حتى بدأت المواقف الرافضة لبناء المسجد ولمكانه تحديداً، على الرغم من أن المكان نفسه كان يضم مسجداً للمسلمين في نفس المنطقة قبل سقوط برجي التجارة العالميين.

وانقسم الأمريكيون، شعباً وحكومة، بين التأييد والرفض، حيث تصدرت بعض الشخصيات السياسية لهذا المسجد، من بينهم هاري ريد (زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ) والذي عبّر عن معارضته الشديدة لهذا المسجد، مقترحاً أن يتم بناء المسجد والمركز في مكان آخر بعيد عن مكان برجي التجارة العالميين السابقين. إلا أنه وفي نفس الوقت أعلن احترامه للدستور الأمريكي الذي ينص على كفالة حرية المعتقد الديني للأمريكيين.

ومن بين أكثر المعارضين شراسة لبناء مسجد قرطبة، باميلا جيلر، الأمريكية اليهودية الأصل، والتي قادت منذ عدة أشهر حملة إعلامية عبر وسائل الإعلام ومن خلال شبكة الإنترنت لمعارضة بناء المركز الإسلامي.

ولم يكن غريباً أن تكشف صحيفة الغارديان مؤخراً، عن وجود علاقة بين جيلر وبين رابطة الدفاع الإنجليزية اليمينية التي تعمل على محاربة ما تسميه انتشار المد الإسلامي في إنجلترا.

كما تصدر سياسيون أمريكيون كبار على غرار نوت جينجريتش (قائد ثورة الجمهوريين في عام ١٩٩٤ والطامح للتنافس على مقعد الحزب الجمهوري في انتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة ٢٠١٢)، وسارة بيلين (نائبة جون ماكين في انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة ٢٠٠٨م)، والذين قاموا بتأجيج الجدل الدائر حول مسجد نيويورك على الرغم مما ينطوي عليه من إساءة للإسلام.

وبدأت مراكز الدراسات التي نشطت في إجراء استبيانات حول آراء الأمريكيين من بناء المسجد في منطقة مانهاتن بنيويورك، أكدت أن نتائج دراساتها جاءت متقاربة جداً، إذ تتراوح نسب الأمريكيين الرافضين لبناء مسجد قرطبة ما بين ٠٦٪ إلى ٠٧٪ من الأمريكيين الذين شاركوا في التصويت.

إلا أن شبكة الـ(BBC) البريطانية تلفت النظر إلى قضية مهمة، وهي أن الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن مسجد قرطبة سيكون مثل غيره من المساجد الكبيرة، حيث تقول: «إن الجدل الدائر حول هذا الموضوع يعطي انطباعاً بأن المركز الإسلامي سيقام في ذات موقع برجي مركز التجارة، وأن نيويورك ستغص بأصوات النداء للصلاة من منارات وقباب المصلى المزمع إقامته في إحدى الشوارع القريبة من المركز».

الرئيس الأمريكي باراك أوباما دخل إلى خط النقاشات الدائرة حول موضوع المسجد، معلناً تأييده لإقامة المسجد في المنطقة، وقال: «إنه يؤيد حق المسلمين في بناء مركز لهم في الموقع المقترح بنيويورك».

وأوضح أوباما بعد أيام أنه يؤكد على احترام الحقوق التي كفلها الدستور الأميركي.

أما المؤيدون للمشروع فإنهم يرون أن مسجد قرطبة سوف يوفر فرصة لنشر الوعي والفهم الصحيح للإسلام، يعمل على وقف الانقسام الذي خلفته أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، خاصة وأن الجالية اليهودية لديها مركز في منطقة مانهاتن، كذلك توجد في نفس المدينة جمعية للشبان المسيحيين.

قرطبة.. دلالات التاريخ

لم تقف حدود الخلاف في موضوع مسجد قرطبة عند مكان إقامته، بل بات الخلاف الدائر أيضاً حول إسم المشروع نفسه، وهو إسم (قرطبة) الذي يشير إلى مجد الإسلام والمسلمين في أوروبا وإسبانيا، وتغلب المسلمين على الصليبيين قبل ١١ قرناً في قلب الأراضي النصرانية.

وتنقل صحيفة (الأيكونومست) عن الإمام فيصل عبدالرؤوف (إمام مركز قرطبة الإسلامي المزمع إقامته في مانهاتن) قوله: (إنه اختار اسم قرطبة تذكرة للزمن الذي كانت فيه بقية أوروبا غارقة في العصور المظلمة عندما أقدم المسلمون على إقامة واحة من الفنون والثقافة والعلوم في قرطبة).

يقول أحد المعلقين الأمريكيين على اسم المسجد والمركز: (إن أنصار بناء المسجد لا يفهمون أن (قرطبة) هو مصطلح يتعمد الإساءة، لأن قرطبة، عاصمة إسبانية خلال وجود الفاتحين المسلمين فيها، ترمز إلى انتصار المسلمين على الأسبان المسيحيين، والذين تمكنوا من تحويل الكنيسة هناك إلى ثالث أكبر مسجد في العالم).

ومع ذلك، يرى المؤيدون لهذا الاسم، أن اسم قرطبة يرمز إلى التعددية الدينية التي كانت حاضرة في إسبانيا خلال وجود الفاتحين المسلمين، وإلى وجود نماذج من

الانفتاح على حضارة الآخر فكرياً وفلسفياً وعلمياً وزراعياً وغيرها، الأمر الذي يشير إلى انفتاح المسلمين في أمريكا على الآخرين، وعدم انغلاقهم ذاتياً في مجتمعاتهم، حيث شهدت قرطبة القديمة وجود الفيلسوف اليهودي ابن ميمون إلى جوار الفيلسوف المسلم ابن رشد، وفيها أحييت اللغة العبرية بعد اندثار.

القيم الأمريكية على المحك

لا يخفى البعض اهتمامهم بمتابعة مصير بيت ومسجد قرطبة في نيويورك، ليس لأنهم من المتابعين الجيدين للأحداث السياسية، بل لأنهم يريدون أن يقيموا مدى ثبات القيم الأمريكية التي تدعو إلى التعددية والحريات الدينية والشخصية. وحول هذا الموضوع كتب روبرت كورنويل (الصحفي في جريدة الاندبندنت البريطانية) يقول: (إن السياسيين الأمريكيين يصعدون حملتهم المعارضة لبناء المركز الإسلامي قرب موقع مركز التجارة العالمية إلا أن النتيجة هي اختبار حقيقي للقيم الأمريكية).

ولم تغب هذه الحقيقة عن الرئيس الأمريكي أوباما، الذي أكد أن دعمه لإقامة المسجد، هو بمثابة دعم لقيم الدستور والقانون الأمريكي، حيث يقول: (هذه هي أمريكا والتزامنا بالحرية الدينية يجب ألاَّ يتزعزع).

هذه القيم أيضاً كانت مدعاة للحديث الفكري والفلسفي أيضاً، ومناسبة للحديث عن الحريات الدينية، حيث كتب فريد زكريا (وهو أميركي مسلم هاجر من الهند، ورئيس تحرير مجلة نيوزويك الأمريكية) يقول: (إن الحساسية طريق ذو اتجاهين). وأضاف بالقول: (إذا اعترض بعض الناس على بناء مسجد في نيويورك بالقرب من مكان مركز التجارة العالمي الذي دمره هجوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١، وقالوا: إن المكان (مقدس) وأن بناء المسجد يؤذي (أحاسيسهم)، ففي الجانب

الآخر، يرى المسلمون أن مسجدهم (مقدس)، وأن منعهم من بنائه في أي مكان يرون أيضاً أنه يؤذي (أحاسيسهم).

وقد جاءت مناسبة الحديث عن هذا الموضوع كنقطة نقاش اعتبرها الصحفي محمد علي صالح في واشنطن أنها تتناسب مع الحديث عن قيم الحرية الدينية في أمريكا، حيث عرف حرية الفرد الدينية بأنها (الخط الفاصل بين التعبير عن رأي في دين معين، وإغضاب الذين يمارسون هذا الدين)، فكان موضوع مسجد قرطبة خير مثال للتعبير عن الحد الفاصل بين الحرية في بنائه أو رفضه، وغضب الرافضين أو المؤيدين له.

الخيار (واحد) في المنطقة (صفر)

وسط كل هذا التناقض، يبدو مركز قرطبة وهو يمضي بطريقه بشكل ثابت، دون الالتفات إلى الدعوى العنصرية التي تطالب بتغيير مكانه، أو إيقافه، أو تحويله إلى رمز ضد الإسلام والمسلمين.. ففي نيويورك نقلت وكالة الاسوشيتدبرس عن ديزي خان (زوجة الإمام عبدالرؤوف وشريكته في مقترح بناء المسجد) قولها: (إن المنظمين مصرون على المشروع على الرغم من الاحتجاجات، وأن إسقاط مشروع خطة البناء هو بالتأكيد ليس خياراً على الإطلاق).

وأضافت خان التي تترأس أيضاً الجمعية الأمريكية لنهوض المسلمين بالقول: «إن المنظمين لا يفكرون في تقليص المشروع أو تغيير الموقع، ولكنه يجري التشاور أكثر عن كثب مع زعماء المنظمات الإسلامية الأميركية»، مؤكدة أن (قادة المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة يدركون أن الضجة المثارة حول المركز تؤثر على المسلمين في جميع أنحاء الولايات المتحدة، ونحن نعلم أن لدينا الحق في القيام بذلك، ولكن ما هو حق المجتمع، أو مصلحة المجتمع المسلم).

أوباما غير نادم على دفاعه عن بناء مسجد

أكد الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، أنه «ليس نادمًا» على دفاعه عن حق المسلمين في بناء مسجد قرب موقع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بنيويورك.

وردًا على سؤال لقناة «ان.بي.سي» حول هذا الموضوع -على هامش زيارة إلى عائلة أمريكية من الطبقة المتوسطة في كولومبوس (أوهايو، وسط)- قال أوباما باختصار شديد «الإجابة هي: لا ندم». ودافع أوباما عن حق المسلمين في بناء مسجد قرب موقع برجي مركز التجارة العالمي اللذين دمرا في هجمات ١١ سبتمبر في نيويورك، مستندًا في دفاعه إلى حرية العقيدة والدين التي يكفلها الدستور.

وأثارت تلك التصريحات زوبعة إعلامية واستياء عائلات ضحايا تلك الاعتداءات، في حين اغتنم العديد من أعضاء المعارضة الجمهورية، بمن فيهم المرشحة إلى نيابة الرئاسة سابقًا سارة بيلين، الفرصة واتهموا الرئيس بأنه بعيد عن انشغالات المواطنين.

وحتى بعض المقربين من أوباما مثل زعيم الديموقراطيين، هاري ريد فقد نأوا بأنفسهم عن الرئيس في هذه القضية خوفًا من انعكاسات الجدل على شعبيتهم قبل شهرين ونصف من انتخابات تشريعية حاسمة.

مخاوف الجمهوريين:

هذا، ويخشى الجمهوريون أن يؤدي الموقف الرافض من مشروع بناء مسجد، بالقرب من موقع هجمات ١١ سبتمبر إلى انعكاسات سلبية على المرشحين في حملاتهم لانتخابات الكونجرس النصفية المقررة في نوفمبر القادم.

وحذرت شخصيات نافذة عدة من الحزب الجمهوري من التعاطي مع مسألة

بناء المسجد وهو جزء من مشروع بناء مركز إسلامي، بالقرب من مبنى برجي مركز التجارة العالمي، الذي تعرض للانهيار في هجمات سبتمبر قبل سنوات، في وقت يتصاعد فيه الجدل حول المشروع الذي تخطى عقبة مهمة هذا الشهر، بموافقة لجنة على بنايتين في الموقع المحدد الذي لا يبعد سوى بنياتين عن «الموقع صفر».

وذكرت صحيفة «واشنطن بوست»، أنه فيما يستغل مرشحون جمهوريون وفي مختلف أنحاء البلاد اقتراح بناء المسجد في حملاتهم الانتخابية، يزداد قلق شخصيات نافذة في الحزب من أن يكون رد فعل هذه المسألة عكسيًا.

وقالت : إنه وعلى الرغم من تنامي رفض الرأي العام للمشروع، فإن إستراتيجيين جمهوريين يرون أن ثمة مخاطر جمة في الدفع بهذا الاتجاه بقوة.

ومن هؤلاء ديفيد وينستون، المتخصص في استطلاعات الرأي، والذي يقدم المشورة لقادة الحزب الجمهوري في الكونجرس، بعد أن أبدى قلقه من أن يتغلب الجدل حول المسجد على المسائل التي تهم الناخبين، وأضاف إنه رغم أن هذه المسألة ولدت بالتأكيد الكثير من العواطف، إلا أنه عندما يتعلق الأمر بالتصويت ستكون الانتخابات بشأن الاقتصاد والوظائف.

وأشارت الصحيفة إلى أن ما يتخوف منه الحزب الجمهوري هو أن يظهر رفض بناء المسجد على أنه غير متقبل للاختلاف الديني.

وقال الرئيس السابق للجنة الجمهورية الوطنية إيد جيليبسي : إن أحد أكبر المخاطر في السياسة هي الإفراط في استخدام مسألة معينة، محذرًا من أن الناخبين قد يخلصون إلى أن الجمهوريين الذين يعارضون بناء المسجد يتخذون موقفًا ضد الإسلام بشكل عام.

أصبحت مدينة جينزفيل التي لا يتجاوز تعداد سكانها ٢٠٠ ألف نسمة،

والمشهورة بجامعتها وفريق كرة القدم الأمريكي، محط أنظار العالم الآن بقرار قس غير معروف إعلان يوم سمّاه بالعالمي لحرق نسخ من مصاحف، فيما أكد سكان المدينة أن القس تيري جونز لا يمثلهم، بحسب تقرير لقناة «العربية»، الخميس ٩-٩-٢٠١٠.

وقال رجل من سكان المدينة : « إن القس يعبر عن الكراهية وهو لا يمثلنا»، وأضافت امرأة أن «هذا سيعقد من نتائج أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) ويزعج المزيد من الناس، وأتمنى أن تكون هناك طريقة لإيقافه، إنني أشعر بالحرج»، وتابع ثالث «القس متطرف والمسلمون لديهم حساسية كبيرة إزاء تلك القضايا».

وأكدت امرأة تقطن في نفس حي كنيسة جونز أن «الإعلام يزيد الحطب على النار، وهو مجنون (القس) وما يفعله بحرق كتب دينية خطأ».

ويرى زياد غانمي، وهو عربي يعيش في جينزفيل، أن «ألاعيب القس المثيرة للجدل ليست جديدة على الجالية المسلمة هنا».

قادة الأديان في أمريكا يهاجمون جونز

وبعيداً عن فلوريدا، إلى قلب واشنطن، شاركت «العربية.نت» في اجتماع دعا إليه زعماء دينيون من مختلف الديانات المسحية والإسلامية واليهودية في العاصمة واشنطن، وذلك لحث القس تيري جونز راعي كنيسة دوف التبشيرية في ولاية فلوريدا الأمريكية على التخلي عن خطته المشؤومة لحرق نسخ من مصاحف في الذكرى السنوية لهجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر).

وفي بداية اللقاء، قالت د. إنغريد ماتسون رئيس الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية «على أي مسلم في أي جزء من أجزاء العالم، أن يعرف أن هذه الأصوات النشاز لا تمثل أمريكا، ولا تمثل المسيحية أو اليهودية».

وتابعت ماتسون قائلة: «هؤلاء الناس (زعماء وقادة الديانات في الولايات المتحدة الأمريكية) يمثلون القيم الحقيقية ووجهات نظر الغالبية العظمى من اليهود الأمريكيين والمسيحيين، لذلك لا نرى أن هذه الأحداث البغيضة ليس لها أي تبرير، إنما هي نوع من الكراهية ضد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية».

أما الحاخام نانسي فوكس كرايمر، وهو أستاذ مشارك في الدراسات الدينية في كلية RE CONSTRUCTIONIST اليهودية، فقال: «إننا نقف إلى جانب المبدأ القائل إن مهاجمة أي دين في الولايات المتحدة هو بمثابة عنف موجه ضد الحرية الدينية لجميع الأمريكيين».

وأكد أن «التهديد بحرق نسخ من مصاحف ما هو إلا جريمة شنيعة، لا سيما أننا نطالب اليوم بأقوى إدانة ممكنة من الزعماء الدينيين. نحن ندعو الجميع إلى الكياسة في الحياة العامة والسعي لتكريم ذكرى الذين فقدوا أرواحهم في ١١ سبتمبر».

وقال الكاردينال ماك كاريك تيودور، وهو رئيس أساقفة واشنطن الفخري: «هذه أفعال من مجموعة متطرفة صغيرة جداً، وهم يعتقدون أنهم يفعلون الشيء الصحيح وأنا واثق أنه خلاف ذلك».

وأضاف: «الذين أخذوا أنفسهم خارج التيار الرئيسي للمسيحية أو اليهودية أو الإسلام أعتقد أنه من المهم أن نبعث لهم رسالة يمكننا أن نخبرهم فيها أن هذا لا يعبر عن جوهر أمريكا الحقيقي».

من جهته، قال الحاخام ديفيد سبرستين من مركز العمل الديني لإصلاح اليهودية: «وراء الكواليس هناك الكثير من النقاش يدور في محاولة لإقناع هؤلاء الناس بالتخلي عن تنظيم هذه الفكرة. أدعو الأمريكيين جميعاً أن يقفوا معاً للتنديد به والتأكيد على أن هؤلاء ليس لهم من مكان في الحياة الأمريكية».

وقد أدان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون الأربعاء مشروع مجموعة أمريكية بإحراق مصاحف، معتبراً أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن تحظى بدعم «أي ديانة».

كما أدان الرئيس اللبناني ميشال سليمان عزم كنيسة أمريكية معادية للإسلام إحراق مصاحف السبت لمناسبة ذكرى اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، معتبراً ذلك «منافٍ لتعاليم الديانات السماوية».

واستهجن سليمان، بحسب ما جاء في بيان صادر عن مكتبه، «ما أعلنته مجموعة دينية في الولايات المتحدة عن نيتها إحراق نسخ من القرآن الكريم على الملأ»، معتبراً ذلك «منافياً بصورة صارخة لتعاليم الديانات السماوية السمحاء، ويتناقض كليًّا مع منطق حوار الحضارات والأديان والثقافات».

ودعا إلى «التبصر ملياً في التعاليم المسيحية والمفاهيم الإنسانية التي تشدد على محبة الآخر واحترامه».

تفرقة بين المسلمين والمسيحيين

وفي سوريا أدان المسيحيون دعوة قس الكنيسة الأمريكية البروتستانتية إلى إحراق المصحف في كنيسته، واعتبروا دعوته معادية للإسلام وتهدف إلى التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، وترتبط بحملات «صهيونية»، كما ذكر مصدر رسمي الأربعاء.

ونقلت صحيفة تشرين الحكومية عن النائب البطريركي العام في دمشق للروم الملكيين الكاثوليك المطران جوزيف العبسي وصفه لهذا التصرف «بالمخزي»، معتبراً القس صاحب هذه الفكرة إنسانا «ليس عاقلاً، وما يقوم به عمل شيطاني، لأن أبسط قراءة للإنجيل ترفضه».

وأشار المطران العبسي إلى أن تصرف القس تيري جونز يدل على عدم معرفته

بالقرآن، موجهاً إليه دعوة لزيارة سوريا «ليعرف حقيقة الإسلام».

وأكد المطران أن «هذه الجماعات التي تطلق دعوات كهذه، وهدفها الإيقاع بين الإسلام والمسيحية، لم تأت منفردة؛ بل يوجد رابط معها مع الحملات الأخرى التي تقودها الصهيونية».

بدوره اعتبر الوكيل البطريركي لبطركية الروم الأرثوذكس المطران غطاس هزيم أن جونز «لا يمثل المسيحية وإنما شخصه» معتبراً أن الذين يريدون استفزاز الناس «هم أعداء المسيحية أولاً والإسلام ثانياً».

وتابع «ما من مستفيد في هذه المنطقة تحديداً إلا إسرائيل التي تريدنا على خصام وتقاتل»، داعياً القس إلى اختبار «الروحانية الشرقية المتأثرة فيها كل الديانات الشرقية بما فيها الإسلام».

من جهته اعتبر مدير الديوان البطريركي للسريان الأرثوذكس المطران جان قواق أن «ليس كل شخص تحدث أي كلمة يمثل المسيحية، فالمسيحية لها مرجعيات ومجالس».

وناشد قواق كل مسلم في سوريا «ألا يحكم على المسيحيين من تصرفات أناس غير مسؤولين (...) والذي أخشاه أنهم مدفوعون من الصهيونية العالمية».

بدوره اعتبر المسؤول في الطائفة المارونية في دمشق الأب طوني دورة أنها «دعوة لإثارة الفتن، ملبية بذلك رغبة من ابتدعوا هذه الجماعات وهي الصهيونية العالمية لتشويه صورة المسيحية في عيون المسلمين، ودفع ذوي الحمية والبساطة من إخوتنا المسلمين وإقحامهم في ردود أفعال تشوه صورة الإسلام في نظر العالم».

وعبر نائب رئيس المجمع الأعلى للطائفة الإنجيلية في سوريا ولبنان القس صموئيل حنا عن «سخط واستنكار» الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط «للفكر

الذي يطلقه هذا القس»، معتبراً أنه «عمل لا يمت إلى المجتمعات المتمدنة ولا حتى البدائية».

ووصف تصريحات جونز بأنها «غير إنسانية وغير أخلاقية»، معتبراً هذا العمل «يثير النعرات الطائفية والدينية في المجتمعات الإنسانية».

كما دان رئيس طائفة الأرمن في سوريا ورئيس المجلس العالمي للأرمن البروتستانت القس هارونيون سليميان «هذا العمل اللامسؤول»، معتبراً أن مخطط جونز «عمل أخرق يعبر عن حقد أعمى».

ووجه راعي كنيسة دمشق للروم الكاثوليك الأب إلياس زحلاوي رسالة إلى القس جونز يسأله فيها «عن أهداف الدعوة التي أطلقها»، مخاطباً إياه «تعال إلى دمشق لأجعلك تعيش خبرة ما كانت تخطر لا ببالك ولا ببال جميع كنائس الغرب وأساقفته وكهنته وقساوسته».

الفاتيكان يعتبرها إهانة

من جهته، أعلن المجلس البابوي للحوار بين الأديان التابع للفاتيكان في بيان الأربعاء أن مشروع القس الأمريكي «تيري جونز» لإحراق المصحف سيشكل «إهانة خطرة إزاء كتاب مقدس بنظر أتباعه». وقال المجلس البابوي أنه «تلقى بقلق كبير خبر مشروع «يوم إحراق نسخ من القرآن« في ١١ سبتمبر».

وأضاف «لا يمكن معالجة أعمال عنيفة تدعو إلى الأسف» على غرار اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، بمشروع مماثل لمجموعة مسيحية متطرفة في فلوريدا.

وشدد المجلس على أن «كل ديانة مع كتبها المقدسة وأماكن عبادتها ورموزها، لها

الحق في الاحترام والحماية». وتابع إن «هذا الاحترام ينبع من كرامة الأشخاص المنتمين إلى هذه الديانة وخيارهم الحر على الصعيد الديني».

واعتبر المجلس البابوي أن «جميع المسؤولين الدينيين وجميع المؤمنين مدعوون إلى تجديد إدانتهم الشديدة لأي من أشكال العنف وخصوصاً ذلك الذي يرتكب باسم الدين».

وكانت صحيفة «أوسرفاتوري رومانو» الناطقة باسم الفاتيكان نقلت الأربعاء عن أسقف لاهور ورئيس المجمع الأسقفي الباكستاني لورانس جون سالدانها قوله: «نندد بشدة بهذه النية وهذه الحملة التي تتعارض مع الاحترام الواجب لكل الديانات وتتعارض مع عقيدتنا وإيماننا».

وفي ألمانيا قوبلت خطط حرق نسخ من مصاحف في ولاية فلوريدا الأمريكية، بانتقادات شديدة من قبل مسؤولين مسيحيين ويهود. ووصفت الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا خطة حرق نسخ من مصاحف في الذكرى التاسعة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر بأنها «استفزاز لا يمكن تحمله» وأكدت أنها تنأى بنفسها عن هذا التصرف المستفز.

وقال القس مارتين شنايدهوته الأربعاء في هانوفر: «إن حرق نسخ من القرآن لا يتفق مع قيم المسيحية، ولا يساهم بأي طريقة في حل المشكلات وخلق الثقة». مشيراً إلى أن القيام بمثل هذا العمل في وقت يتزامن مع احتفالات المسلمين في العالم بعيد الفطر لن يساعد في حدوث التفاهم بل سيعطي بيئة خصبة للمتطرفين.

وأكد شنايدهوته على ضرورة احترام الكتب المقدسة لأصحاب الديانات الأخرى ولا سيما في دولة مثل الولايات المتحدة التي يستند تاريخها على حرية المعتقدات الدينية.

من جهته أعرب المجلس الأعلى لليهود في ألمانيا عن صدمته من خطط حرق نسخ من مصاحف في الولايات المتحدة. وقالت رئيسة المجلس تشارلوته كنوبلوخ اليوم في ميونيخ: «هذا التصور مفزع ويمثل خرقاً واضحاً». ذكرت في الوقت نفسه بعملية حرق الكتب التي نفذها النازيون عام ١٩٣٣.

واستشهدت كنوبلوخ بكلمة للشاعر الألماني هاينريش هاينة تقول فيها: «أينما تحرق الكتب، يُحرق البشر في النهاية أيضا».

وشددت كنوبلوخ على أهمية عدم السماح بسيطرة سياسة الكراهية وجعلها تنجح في النهاية معربة عن أملها أن تكون الغلبة في النهاية للعقل ولروح الحرية.

الاتحاد الأوروبي يُدين

وفي السياق ذاته، قالت متحدثة باسم وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي كاثرين أشتون الأربعاء: «إن الاتحاد يدين الدعوة التي أطلقتها كنيسة أمريكية معادية للإسلام في فلوريدا لإحراق مئات المصاحف السبت».

وصرحت المتحدثة للصحافيين أن «الممثلة العليا (أشتون) تحترم كافة المعتقدات الدينية، وهذا العمل غير صائب»، في إشارة إلى إعلان قس أمريكي خطته حرق مئات المصاحف في ذكرى هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١.

وعززت السلطات الأمريكية إجراءات الأمن في مدينة جينزفيل بولاية فلوريدا، وهي المدينة التي تشهد خطة مثيرة للجدل من جانب قس مغمور ينوي حرق نسخ من المصاحف، وذلك يوم السبت الذي يوافق الذكرى التاسعة لهجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) على الولايات المتحدة عام ٢٠٠١.

وكان القس تيري جونز من مركز «دوف وورلد أوت ريتش»، أعلن أن يوم السبت سيكون «يوماً عالميًّا لحرق نسخ من المصحف»، مما أثار انتقادات واسعة من

البيت الأبيض وزعماء دينيين من جميع الديانات في أنحاء الولايات المتحدة.

وقال مدير الاتصالات بالمدينة بوب وودز: «لضمان السلامة العامة فإن مدينة جينسفيل تراقب الوضع عن كثب مع وضع خطط تضم مجموعة واسعة من خطط الطوارئ». ولم يذكر تفاصيل أخرى عن الإجراءات الأمنية المخطط لها، مشيراً إلى مخاوف أمنية.

وتحظر عمليات الحرق في العراء وخارج المنازل بمدينة جينسفيل وتحتاج إلى تصريح. وقال وودز لوكالة الأنباء الألمانية : إن إدارة مكافحة الحريق رفضت منح جونز هذا التصريح. وفي حال مضي جونز قدماً في خطة حرق المصاحف، فإنه بذلك ينتهك أنظمة المدينة.

وأضاف وودز أن مسؤولي المدينة التقوا كثيراً مع ممثلين عن مركز دوف لإلغاء الخطة.

وقال عمدة المدينة كريج لو، في بيان: «أدين السلوك العدواني الموجه إلى جيراننا المسلمين وأصحاب العقيدة الإسلامية في أنحاء العالم... جماعة دوف مجموعة متطرفة صغيرة وتسبب الحرج لمجتمعنا».

الشارع الأمريكي غاضب

من جانب آخر، سجلت «العربية.نت» ردود أفعال مسلمين أمريكيين في مركز دار الهجرة في ولاية فرجينا، ودار الهدى في مدينة مناسس الأمريكية، ومسجد البيت المكرم، والمركز الإسلامي في واشنطن ومسجد الهجرة الأولى في منطقة واشنطن دي سي.

وقال الشيخ إحسان محمد لـ«العربية.نت»: «باختصار شديد، تيري جونز يريد أن ينصب نفسه حاكماً على النوايا في الأرض، أنا أقسم بالله وأنا صائم، لو وقع

بيدي كتاب الإنجيل الآن لرفعته إلى مكان طاهر نظيف، لأنه لا يكتمل عندنا إسلامنا إلا إذا آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خير وشره».

وتابع الشيخ إحسان قائلاً: «حرق نسخ من المصحف لا يحسبه تيري جونز هو خير له بل هو شر له، فأحسب أن هذا الرجل باء بغضب الناس في الولايات المتحدة الأمريكية قبل غضب الله الجبار الكبير، لو كان يعقل ويعلم قدرة الله على خلقه».

أما الشاب الأمريكي الأسود جيررد فيلر (٣١ عاماً)، وهو من أصول أمريكية وقد اعتنق الإسلام قبل شهرين، فيقول لـ«العربية.نت»: والله إن المقصود بحرق نسخة من المصحف هو الرئيس أوباما لقصد إحراجه بحجة سعة الحرية والتعبير عن الرأي، وأن يصنع الأمريكي ما يشاء في بلد رمزه تمثال الحرية المزعوم، لكي لا تجدد ولايته للرئاسة ثانية ونحن في أجواء انتخابات».

وتابع فيلر الذي سمى نفسه يوسف قائلاً: «أخبروني الشباب الذين معي أن للبيت رب يحميه، وأقصد الكعبة الشريفة في مكة المكرمة، وللقرآن منزلة عظيمة لن يحتاج لجهد مسلم كي يدافع عنه، لكن نحن ننصر ديننا بالرفض والشجب والاستخفاف بأفكار المتطرفين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، كما أرى أن تيري جونز اليوم متطرف تجاوز كل حدود اللياقة في التعامل مع من يشاركوه حب بلادهم من المسلمين».

أما محمد أمين، وهو مسلم باكستاني (٢٢عاماً) فقد أخبر «العربية.نت» قائلاً: «أريد أن أتحدث بوضوح، أن نسخة المصحف الذي يريد أن يحرقها تيري جونز يعلمنا أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خائبين خاسرين مدحورين، وليس هناك مقارنة بين فرعون وجنوده وبين هذا القس المغمور، الذي لا يتعدى أنصاره ١٠٠ شخص».

واستطرد بالقول: «أخشى أن تجلب فعلة جونز الويلات ويقتل الحوار الذي ينمو يومياً في الولايات المتحدة بين الأديان والأعراق والأفكار بسلاسة».

وفي كلمة له خص بها «العربية.نت» قال المواطن الأمريكي من أصول عربية جلال إسماعيل، وهو حافظ للقرآن الكريم عن ظهر قلب، «يحاول تيري جونز وأتباعه حرق أوراق المصحف، لكن لا سبيل لهم إلى حرق القرآن في قلبي، والله سيطفئ ما أوقدت أفواههم من نيران الكلام الحاقد والفعل المشين».

أما المواطنة الأمريكية سندس إسماعيل (٤٤ عاماً)، وهي من أصول عربية تونسية، فقالت: «يا أخي، أريد أن أسأل هذا القس، هل سمع تيري جونز في دولة إسلامية أنه تم حرق إنجيل أو توراة؟ هل سمع أن المسلمين حرقوا تلموداً أو كتاب الوصايا العشر؟ هل سمع أن المسلمين أقدموا على إقامة تجمع للاحتفال والتباهي بحرق مقدس مسيحي؟».

نشر موقع (٥٨٣) الأمريكي المختص في صناعة الإحصاءات على صفحات موقعِه مقالاً إحصائيًا، أشرف عليه الباحث المساعد «توماس دولار»، والكاتب السياسي صاحب عمود الشؤون الدولية بإحدى الصُّحف «رينارد سيكستون»، يستفسر فيه عن موجةِ كراهية الإسلام التي تجتاح أوروبا مِن خلال استعراضه موقفَ بعض الدول الأوروبية ضدَّ الإسلام، يقول فيه:

«بعد انهيار التحالُف الحكومي الهولندي بقيادة «جان بيتر بالكينيند» في فبراير الماضي، والإعلان عن انتخابات جديدة تَتمُّ إقامتها في التاسع مِن يونيو القادم، وفي ظلِّ الغموض الذي يُحيط بإمكانيَّة تحديد الحِزْب الذي من الممكن أن يحصدَ أغلبية المقاعد، تتَّجه الأنظار إلى «حزب الحرية» اليميني المعادي للإسلام، تحتَ زعامة المتطرِّف «خيرت فيلدرز»، والذي أنتج فيلم «فتنة» المسيء للإسلام وشريعته.

فقد أشارتْ بعض الاقتراعات إلى صعود نَجْم حزْب فيلدرز اليميني المتطرِّف، وتحصيله ١٨٪ من المقاعِد في ظلِّ نظام تمثيل برلماني هولندي، لا يسمح لحزبٍ بعَيْنه أن يحقِّقَ أغلبيةً مُطلقة، بل نسبية، وكذلك في ظلِّ توقُّعات ببقاء حزْب «فيلدرز» ضمنَ صفوف المعارضة، بدلاً مِن تولِّي تشكيل حكومة ائتلاف.

وقد أثار صعود نجم «فيلدرز» كثيرًا من المراقبين السياسيين، بالإضافة إلى اعتباره برهانًا آخرَ على اجتياح موجةٍ جديدة مِن كراهية الإسلام لأوروبا، بالرغم مِن اعتراض «فيلدرز» على أن يُقارنَ بمرشح الانتخابات الفرنسية لعام٢٠٠٢ «جان ماري لوبان» اليميني المتطرِّف، و«يورج هيدر» زعيم حزب الحرية اليميني المتشدد النمساوي الذي لقي حتفَه عام ٢٠٠٨ في حادث سيارة.

وممَّا يدعم وجودَ هذه الموجة «الاستفتاء السويسري ضدَّ بناء المآذن»، وكذلك «حظر الحجاب - النِّقاب - بالمباني العامَّة»، وكذلك استعدادُ الأحزاب المعادية للهجرة والمهاجرين بالبلدان الأوروبيَّة الأُخرى؛ للقيام بدورها».

«هل يعتبر «الإسلاموفبيا» الدافع لنمو مساندة حزب الحرية؟ ولماذا تشكِّل الأحزاب المعادية للإسلام أو المعادية للهجرة في هولندا هذه القوَّة، وليس في دولة مثل إسبانيا؟ هل القضية مُتعلِّقة باندماج مجموعاتِ المهاجرين الجُدد أكثر مِن كون ذلك مقصودًا به الخصائص الثقافيَّة والسياسيَّة الإسلاميَّة؟

فإنَّ الدول ذات الكثافة الإسلاميَّة الكبيرة هي تلك التي تأتي على رأس قائمة الدول التي تشهد العَداءَ للإسلام والمسلمين، ويظهر ذلك من خلال الجدول التالي:

فالدول الثلاث التي تشهد أعْلى كثافة إسلامية في السنوات الأخيرة: فرنسا، وهولندا، وسويسرا هي التي تأتي على رأس قائمة الدول التي تحمل مشاعرَ العَداء للمسلمين ضمنَ بلدان أوروبا الغربيَّة.

ومن العوامل التي يُظنُّ أنها الدافع وراء تلك المواقِف العدائية تجاه الإسلام والمسلمين:

١- حالتَا رفض العَوْلَمَة، والشكوكيَّة الأوروبيَّة العامة.

٢- الاهتمام الزائد برعاية مصالِح أهل البلاد الأصليِّين؛ بسبب سوء الأحوال الاقتصاديَّة.

٣- مشكلات مستوى الخِدْمات الاجتماعيَّة داخل التحالفات الحكوميَّة.

٤- القلق مِن ارتفاع الكثافة السكانيَّة.

٥- الخوف المتزايد مِن الجريمة.

٦- الخوف المتزايد من العُنْف والإرهاب.

٧- ارْتفاع الكثافة السكانية الإسلامية في دولٍ وبلدانٍ أوروبيَّة مُعَيَّنة.

هولندا:

يَعيش في هولندا قُرابة مليون مسلم يُشكِّلون ٥،٨٪ من الكثافة السكَّانية، وطبقًا لتقرير حول مواقف الهولنديِّين من المسلمين، صَدَر عن مركز «بيو» للدراسات والأبحاث عام ٢٠٠٥، تشهد هولندا آراءً متضاربة بيْن صفوف المعادين للإسلام، فالذين يحملون آراءً إيجابيَّة تجاه جيرانهم المسلمين يُشكِّلون ٤٥٪، مقابل ٥١٪ يحملون آراءً سلبيَّة.

ويرى ٦٥٪ أنَّ المسلمين يرغبون في عدم الاندماج في ثقافة المجتمع الهولندي، مقابلَ ٧٦٪ يخشون بقدرٍ ما مِن تأثير الأُصوليَّة الإسلاميَّة على هولندا.

وقد شَهِد العقد الماضي مقتلَ المخرِج الهولندي «ثيو فان جوخ»؛ لإساءته البالغة للإسلام وشريعته؛ مِن خلال أحد أفلامه، كما شَهِد أيضًا مواقف السياسي المتطرِّف

«بيم فورتين»، والذي يَعتقد أنَّ هجرة المسلمين الأصوليِّين من الدول المحافظة تُهدِّد مبادئ المجتمعات المفتوحة، وثقافة الليبراليَّة، والمساواة بين الجِنسَيْن، وحرية ممارسة الجنس بصُوَرِه المختلفة، وحريَّة التعبير.

وقد سعى «فيلدرز» لتحقيق تحالُف مع المشاركين في الانتخابات، مماثلٍ لذلك الذي كان عليه «فورتين».

ومِن العوامل المؤثِّرة التي يمكن اعتبارها، والتي تختصُّ بهولندا: التحسُّن النِّسبي للأوضاع الاقتصادية؛ حيث وصلتْ نِسبة البطالة إلى ٤٪ في فبراير ٢٠١٠، بالإضافة إلى أنَّ معدَّل المواليد بلغ ١،٦٦، ومتوسط الأعْمَار ٤٠،٤.

كما أنَّ لهولندا قواتَ مشاركة في احتلال «أفغانستان»، وهو السبب الذي أدَّى إلى سقوط حكومة «بالكينيد» في فبراير الماضي.

فرنسا:

يُقيم بفرنسا ما بين ٣،٥ - ٥ ملايين مسلم، يُشكِّلون ٦،٥ - ٨٪ من الكثافة السُّكانية، وطبقًا لمركز «بيو» للدراسات والأبحاث يحمل ٦٤٪ من الفرنسيِّين آراءً إيجابيَّة تجاه المسلمين، مقابل ٣٤٪ ممن يحملون الآراءَ السلبيَّة.

ويرى ٥٩٪ من الفرنسيين أنَّ المسلمين يرغبون في عدم الاندماج في ثقافة المجتمع الفرنسي، بينما أعلن ٧٤٪ خوفهم من تأثير الأصولية الإسلامية على الأجْوَاء الفرنسيَّة، وكذلك يرى ٥٠٪ أنَّ المسلمين يتعصَّبُون لدينِهم بشدَّة.

ومِن المعلوم أنَّ فرنسا ظلّت تُعاني من اضطرابات في علاقتها بمجتمعها ذِي الثقافات المختلفة، والتعدُّديَّة الدِّينيَّة.

فقد كانت فرنسا إمبراطورية احتلاليَّة تتبنَّى فلسفة أنَّ كل مواطن مِن الجزائر إلى

«كايين» هو مواطن فرنسي، بالإضافة إلى توقُّع تخلِّي كلِّ مهاجرٍ إلى فرنسا عن هُويَّته والتحلِّي بهوية «الغال»، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على شعوب «سلتية»، التي كانت تمتدُّ على شمال إيطاليا، وفرنسا، وبلجيكا.

وقد شَهِد عام ١٩٠٥ تأسيسَ قانون السياسة اللادينيَّة الرسمية، والتي تنأى قليلاً إلى العلمانيَّة.

وبالرغم مِن استهداف العلمانية تحقيقَ التآلف الاجتماعي من خلال فصل الدِّين عن الهُويَّة القوميَّة، إلا أنَّ ذلك قد أدَّى إلى حظْر الحجاب.

وعقب ذلك حصل زعيمُ حزب الجبهة القوميَّة اليميني المتشدِّد «جان ماري لوبان» على ١٧٫٨٪ من الأصوات بالانتخابات الإقليميَّة، وفي عام ٢٠٠٢ تمكَّن «لوبان» من هزيمة العديدِ مِن المرشَّحين الاشتراكيِّين؛ لينافس «جاك شيراك» في الجولة الأخيرة، والتي شَهِدت هزيمته؛ بسبب انقسامات تصويت متعدِّدة بين مرشَّحي الوسَط اليَساري.

وأمَّا البطالة في فرنسا، فقد بلغتْ في فبراير الماضي ١٠٫١٪، وأمَّا معدَّل المواليد، فهو الأعلى أوروبيًّا بصورة نسبيَّة؛ حيث بلغ ١٫٩٨٪، ويبلغ متوسط أعمار الفرنسيين ٣٩٫٤.

هذا ومنذ العقد الماضي تشهد فرنسا حالةً مِن ارتفاع معدَّل الجريمة، وحالةً من التوتُّر الاجتماعي؛ فقد وقعتْ عمليات شَغَب واسعة خلالَ التوتُّر الاجتماعي بمدينة «باريس» عام ٢٠٠٥؛ مما دَفعَ «نيكولاس ساركوزي» وزير الداخلية حينئذٍ إلى تأييد انتهاج سياسة صارِمة تجاه الأحداث.

سويسرا:

يُقيم ٤٠٠ ألف مسلم، يشكِّلون ٥٪ من الكثافة السُّكانية لسويسرا، والتي كانت

بمعزلٍ عن الأحداث، بالإضافة إلى كونها أقلَّ الدول الأوروبيَّة قَبولاً للمهاجرين.

إلا أنَّها بدأتْ تشهد نموًّا للأقليَّات المهاجِرة منذ السبعينيات؛ حتى بلغ ذلك النمو ٢٢٪ عام ٢٠٠٩.

ومِن الجدير بالذِّكْر أنَّ معدَّل البطالة بسويسرا يشكِّل نسبة ١و٤٪، وهو معدَّل منخفض نسبيًّا، وكذلك نسبة المواليد ٤٥و١، وهي أيضًا نسبة منخفضة.

إسبانيا:

وأمَّا إسبانيا والتي تتميَّز عن سائر الدول الأوروبية؛ بأنها كانت أكبر دول الاتِّحاد الأوروبي التي خضعتْ سابقًا للحُكم الإسلامي، فيقطنها اليوم قُرابة مليون مسلم، يشكِّلون ١ - ٢٪ من الكثافة السُّكانية.

ويرَى ٦٨٪ من الإسبان أنَّ المسلمين يرغبون في الابتعاد عنِ الاندماج في الثقافة العامَّة للمجتمع الإسباني، كما يحمل ٤٦٪ من الإسبان مواقفَ إيجابية تجاه المسلمين، مقابل ٣٧٪ يحملون آراءً سلبيَّة.

وقد أشار اقتراعٌ عُقِد في يونيو ٢٠٠٤ عَقِب أحداث تفجيرات قطار مدريد ٢٠٠٤ - والتي اتُّهِمَ فيها المسلمون - أنَّ ٨٠٪ من الإسبان يرون الإسلام دينًا شموليًّا يحضُّ على العُنف.

وتُعاني إسبانيا مِن أزمة مساكن متزايدة، كما أن معدَّل البطالة وصل إلى ١٩٪، بالإضافة إلى أنَّ معدَّل المواليد وصل إلى١٣١و١، وهو من أدْنى معدَّلات المواليد الأوروبية.

وقد شاركتْ إسبانيا بقوات في احتلال العراق، بالرغم مِن المعارضة الشعبيَّة الكبيرة للمشاركة في ذلك الاحتلال، إلا أنَّ هذه القوات قد تمَّ سَحْبُها عقب تولِّي

«لويس رودريجز ثباتيرو» - الاشتراكي- الحكومةَ عقب انتخابات ٢٠٠٤.

وبالرغم من الظروف التي تمرُّ بها إسبانيا إلا أنَّها لا تشهد حراكًا سياسيًّا ملحوظًا ضدَّ الإسلام، ولعلَّ هذا بسبب النظام السياسي الإسباني المتأثِّر بالنَّمَط السياسي لعصر «فرانسيسكو فرانكو».

إلا أنَّ اليسار الإسباني له نشاطٌ ملحوظ، خصوصًا في مجال الدِّفاع عن حقوق المرأة والشواذ، بينما لا يزال اليمينُ الإسباني ملتزمًا بنُظم المؤسسات العسكرية الكاثوليكية، وأمَّا يمين الوسط، فقائم على الْتِقاط المحافظين التقليديين.

وفي ظلِّ هذا، فالمسلمون يشكِّلون مجموعةً قليلةً نسبيًّا، مقارنة بالانفصاليين «الباسك» ذوي النشاط الثقافي والسياسي الكبير في المجتمع الإسباني.

وأمَّا بالنسبة لقضايا الهجرة الإسلامية، فإنَّها لا تمثِّل مشكلةً كبيرة لإسبانيا، مقارنة بالدول الثلاث السابقة.

وعلى صعيدٍ آخرَ فالدول التي تشتمل على مجتمع إسلاميٍّ متوسِّط متمركِز في بعض المناطق، كالمملكة المتحدة، وألمانيا، والنمسا، قد بدأتْ تأخذ قضايا المسلمين فيها بُعدًا سياسيًّا بوجهٍ ما.

فكلٌّ مِن الدول الثلاث تشهد صراعًا سياسيًّا تُجاهَ هذه القضايا، ولكن ليس على نفس النَّمَط العدائي للإسلام في فرنسا، وهولندا، وسويسرا، ولعلَّ هذا يرجع سببُه إلى أنَّ ألمانيا والنمسا لدَيْها سيطرة قوية على الأحزاب المتطرِّفة، كما أنَّ المملكة المتحدة لديها نظام ما قَبْل الانتخابات، والذي يعمل على تهميش الأحزاب الضعيفة.

وعلى كلِّ حال فقوَّة «الحزب القومي البريطاني» المتنامية، والذي يجاهد مِن أَجْل

الفوز في دائرتين بمجلس العموم، و«الحزب القومي الديمقراطي الألماني»، والذي نجا من محاولة لحظْره في فترة مُبكِّرة من عام ٢٠٠٢، وكذلك نجاح «حزب الحرية النمساوي» في العقد الأخير، فكلُّ هذا يجب أنْ يُؤخذَ به في الحُسْبان، بالرغم مِن أن هذه الأحزاب ليس لدَيْها مستوى عداء الإسلام، الذي ينتهجه حزب فيلدرز الهولندي، ولوبان الفرنسي، وحزب الشعب السويسري.

وفي النهاية فهُناك براهينُ كثيرة؛ لنقول: إنَّه كلَّما تزايدتِ الكثافة الإسلامية بالبلدان الأوروبيَّة، فالمشاعر والخطابات المعادية للإسلام تشهد نموًّا مساويًا بين صفوف الأحزاب اليمينيَّة، واليمينية المتطرِّفة.

ومن الجدير بالذِّكْر الإشارة إلى أنَّ قوة ومُدة تلك الموجة التي تشهدها أوروبا ستعتمد بصورةٍ كبيرة على كيفيَّة التعامُل مع المعارك الحالية، والتي بالطبع يجب أنْ تكونَ مِن خلال مزيدٍ من الاندماج من قِبَل المهاجرين المسلِمين، ومزيدٍ من حقوق تحديد الهُويَّة الذاتية الاجتماعية التي تسمح بها البلدان الأوروبيَّة، وكذلك بالنظر إلى مدى نمو الكثافةِ الإسلامية.